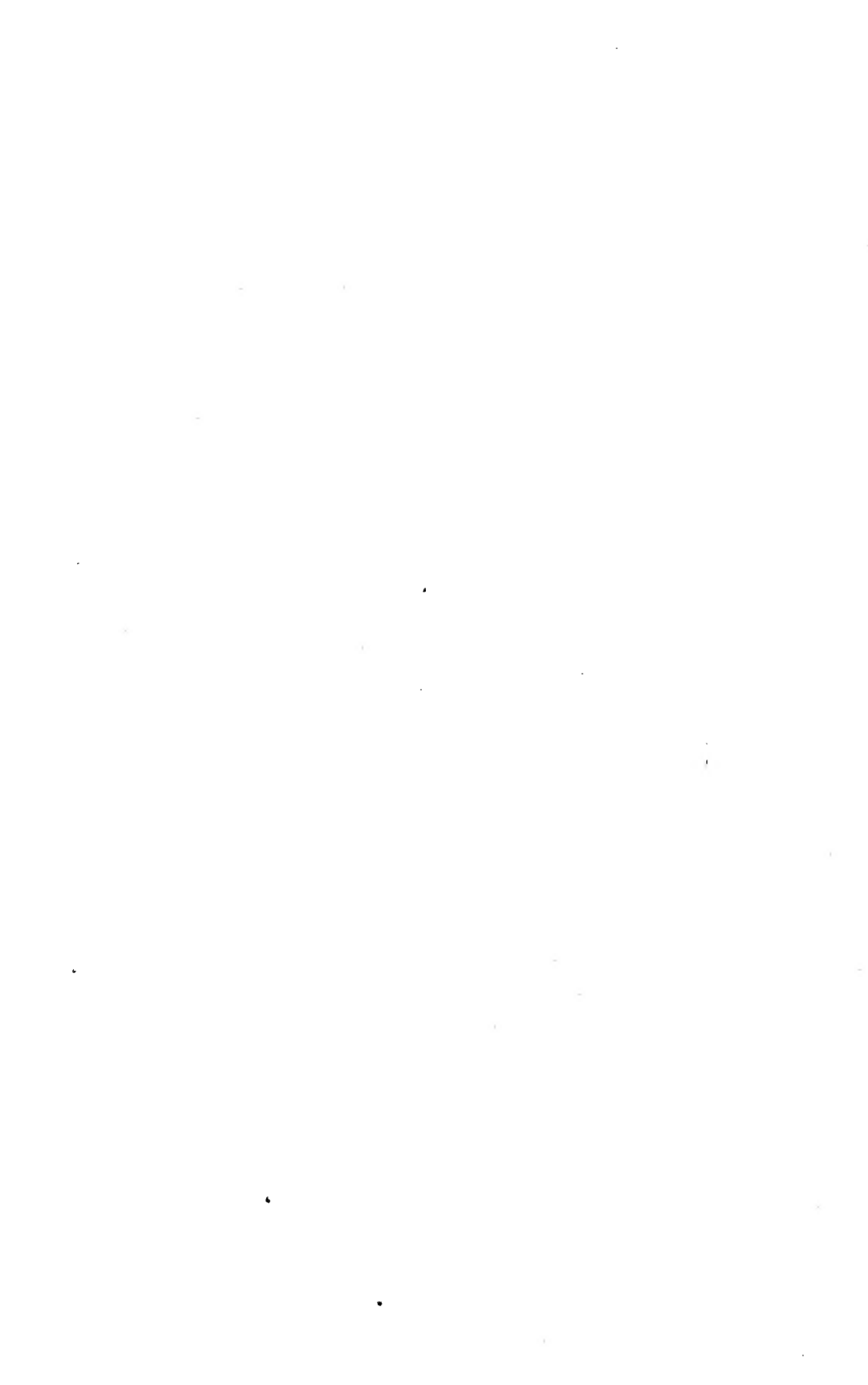


مقدمة التحقيق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

وتنظم دراسات عن :

عصر المؤلف — حياة المؤلف — كتاب المعارف

(١) عصر المؤلف :

بفرد :

لم تكن « بغداد » — قبل أن أخذ أبو جعفر المنصور في تأسيسها — مدينة ملحوظة . بل كل مانعرفه عنها أنها كانت أيام الأكاسرة والأعاجم قرية من قرى « بادوريا »^(١) . وعلى حين كانت « المدائن » — وهى قصبة الملك إذ ذاك — تزهى ببايوان كسرى ، وتفيض أبهة وجلالا ، لم تنضم « بغداد » إلا على دَيْر كان على مَصْب « الصّرة »^(٢) عرف باسم : الدّير العتيق .

ولم يكن حظ « بغداد » فى الأيام الأولى للعرب خيرا منها أيام الأعاجم . فلقد أتجه العرب إلى غير « بغداد » من مدن « العراق » ، يخطونها ويعمرونها ، فاخط سعد بن أبى وقاص « الكوفة » سنة سبع عشرة من الهجرة ، وكان عندها عامل « عمر بن الخطاب »^(٣) .

وأخط عُتْبة بن غَزْوان المازنى « البصرة » فى السنة نفسها . وكان هو الآخر عاملاً لعمر بن الخطاب .

(١) بادوريا : بالجانب الغربى من بغداد . (معجم البلدان) .

(٢) الصّرة : نهر يأخذ من نهر عيسى عند بلدة المحول ويصب فى دجلة . (معجم البلدان) .

(٣) البلدان لليعقوبى (بغداد) .

وجاءت الدولة الأموية وعلى رأسها « معاوية بن أبي سفيان » . وكان « معاوية » قبل أن يُكتب له هذا النصر عاملاً لعمر بن الخطاب على الشام، ثم لعثمان بن عفان عشرين عاماً، وكان يزل هو وأهله دمشق .

فما إن غلب على الأمر وأصبح السلطان إليه حتى جعل « دمشق » مقرّ سلطانه، يلتف حوله آله وأنصاره وأشياعه .

ونفضت « دمشق » وأصبحت محطّ رحال العلماء، ومُعترك الرأي، ومقصد ذوى الجاه، وأخذ شأنها يعلو والحضارة فيها تزدهر .

وعاشت على ذلك حِقبة، اتصلت أعوامها باتصال أعوام الدولة الأموية .

ولما أفضت الخلافة إلى بنى العباس مالوا عن الشام إلى العراق ، يميل بهم عن الأولى أنها معقل الأمويين ومُجتمع أنصارهم ، ويميل بهم إلى الثانية أنها مهد دعوتهم ومكان شيعتهم .

وما يكاد « أبو العباس السفّاح عبد الله بن محمد بن علي » يلي خلافة الهاشمين سنة ١٣٢هـ حتى يقصّد قَصْد «العراق» وينزل «الكوفة» ثم يتحول عن «الكوفة» إلى « الأنبار » يأخذ في بناء مدينة على شاطئ الفرات يسميها : الهاشمية^(١) .

ويموت أبو العباس السفّاح، ويحيى في إثره أبو جعفر المنصور، يلي من أمر الهاشمين ما وليه أبو العباس من قبله ، فيختار موضعاً بين «الكوفة» « والحيرة » يبنى فيه مدينة، يُسميها هو الآخر : الهاشمية .

(١) معجم البلدان « الهاشمية » . البلدان لليعقوبي .

ونشور الراوندية^(١) بأبي جعفر المنصور في مدينته « الهاشمية » فيكره سُكَّاهَا — وإلى جانب « الهاشمية » : « الكوفة » — وهو لا يأمن أهلها على نفسه ، فيخرج يرتاد له موضعاً يتخذة مقاما له ولجنُده ، فينحدر إلى « جَرْجَرِيَا » ، ثم يصير إلى « بغداد » ويتركها ويمضى إلى « الموصل » ثم يعود إليها ثانية^(٢) .

ويسأل « أبو جعفر » عن أسمها فيُخبر به ، فيقول : هذه والله المدينة التي أعلمني بها أبي « محمد بن علي » أتى أبنيها وأنزلها وينزلها ولدى من بعدى .^(٣)

وقيل إن متطببا نصرانياً « بالمدائن » هو الذي أنهى إلى « المنصور » — وقد علم السبب في خروجه — أن رجلا يدعى مِقْلَاصاً^(٤) ، يبنى مدينة بين « دِجْلَة » و « الصَّرَا » ، فيقول المنصور : إني والله كنت أدعى مِقْلَاصاً وأنا صبي ، ثم زال عني .^(٥)

ويقال : إن أبا جعفر لما عاد إليها من الموصل قال : هذا موضع معسكر صالح ، هذه « دجلة » ، ليس بيننا وبين « الصين » شيء ، يأتينا فيها كل ما في البحر ، تأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك . وهذا « الفرات » ، يجرى فيه كل شيء من الشام والرَّقَّة وما حول ذلك . فنزل وضرب عسكره على الصرا وأختط المدينة^(٦) . وفرغ أبو جعفر المنصور من بنائها سنة ١٤٦ من الهجرة ، ونزلها مع جنده وسماها : مدينة السلام .^(٧)

(١) الراوندية : من الرافض الخلوية ، الذين قالوا بتنازع روح الإله في الأئمة . وقد آدعى الراوندية هذا في أبي مسلم ، صاحب دولة بني العباس . (الفرق بين الفرق ١٦٣) .

(٢) الطبري (٦ : ٢٣٤) مطبعة الاستقامة — الكامل لأبن الأثير (٥ : ١٤) طبع إدارة الطباعة المنيرية . (٣) البلدان لليعقوبي .

(٤) مِقْلَاص : لص كان في ناحية بغداد مشهور بالسرقة . لقبت المنصور به داية كانت له ، حين أخذ غزلا لها ، وهو صغير دون عليها . وقد ذكر إاقوت تفصيل ذلك في رسم « بغداد » .

(٥) الكامل لأبن الأثير . (٦) الطبري . (٧) تاريخ بغداد (١ : ٧٨) .

والحديث طويل عن بناء أبي جعفر لبغداد، وما أعد لذلك، وما أنفق فيه،
والحال التي أنشأها عليها، ورسمها لها، ساقه ياقوت في : معجم البلدان، واليعقوبي
في كتابه: البلدان، والطبري في تاريخه، وابن الأثير في كتابه: الكامل، وابن الخطيب
في كتابه: تاريخ بغداد، والأصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، والبلاذري،
وآبن جبير، وآبن بطوطة، ثم على ظريف الأعظمي في كتابه: «مختصر تاريخ بغداد
القديم والحديث»^(١)، وكارل بروكلمان في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية^(٢)، والخضري
في كتابه: تاريخ الأمم الإسلامية^(٣).



وتبقى «بغداد» مقام الخلفاء العباسيين حتى أيام المعتصم بالله محمد بن هارون
الرشيد (٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ) ويكثر المعتصم من الجند الأتراك حين يسوء ظنه
بالعرب من حوله، وتضيق «بغداد» ذرعاً بهؤلاء الجند، ويرى «المعتصم» أن لا غنى
له عنهم، ولا مقام له ببغداد بهم، فيخرج بهم من «بغداد» إلى «سُرَّ مَنْ رَأَى»
التي أبقناها وجعلها داراً للخلافة، وكان ذلك سنة ٢٢١ هـ^(٤).

ويثور الجند الأتراك بالخليفة المهتدى بالله ويقتلونه، ويلتفون حول «المعتد»
على الله العباس بن أحمد» ويقيمونه خليفة (٢٥٦ هـ - ٢٧٩ هـ).
وقبل وفاة «المعتد» بعام - أي سنة ٢٧٨ هـ - يعود إلى «بغداد» ويجعلها
داراً للخلافة كما كانت من قبل.

-
- (١) طبع في مطبعة الفرات ببغداد سنة (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م).
(٢) الترجمة العربية (٢ : ٨) دار العلم لللايين - بيروت.
(٣) طبع في مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م.
(٤) الطبري - ابن الأثير - البلدان.

الخطاء والنهضة العلمية والأدبية :

وما إن نزل المنصور « بغداد » بعد أن ابتناها منتقلا عن « الهاشمية » إليها ، حتى نقل إليها خزانته ودواوينه ، وفرغ لنشر العلوم ، واستدعى إليه المترجمين .

فقدم عليه عام ست وخمسين ومائة رجل من الهند ، عالم بحساب النجوم ، بكتاب مؤلف في ذلك ، فيأمر « المنصور » بترجمته إلى العربية .

ومن قبل ذلك ترجم ابن المقفع (١٠٦ هـ - ١٤٢ هـ) له كتب أرسطاطاليس في المنطق ، وكتاب كليلة ودمنة ^(١) .

وقرب إليه علماء الفقه والحديث ، وحسبه أن عهده أظّل منهم أمثال أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ هـ - ١٥٠ هـ) صاحب التأليف النافعة ^(٢) .

هذا إلى ما عرّف عن « المنصور » من أنه كانت له مدونات علمية ، وكان شديد الولع بها والحرص عليها ، ويقال أنه أوصى بها ابنه « المهدي » عند وفاته ^(٣) .

ثم لقد كان « المنصور » من أحسن رواة الحديث ، وله ذوق في الشعر ، يقوى به على نقد الشعراء ، ومعرفة جيد القول من رديئه ، والمنحول والمسروق ^(٤) .

ويروى أبو الفرج الأصبهاني أن المنصور لما مات ابنه جعفر ، وأنصرف إلى قصره بعد دفنه ، قال للربيع وزيره : أنظر من في أهلي يُنشدني :

* أمن المنون وريها نتوجع *

(١) طبقات الأمم لابن صاعد طبعة بيروت . (٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (١١ : ٢)

(٣) ابن الأثير (٦ : ٧) . (٤) البیان والتبيين (٢ : ١٥٦) .

حتى أتسلى بها عن مُصِبتى . « فطلب » الربيع ذلك في بنى هاشم ، فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور : والله لمُصِبتى بأهل ببنى ألا يكون فيهم واحد يحفظ هذا لِقلة رغبتهم في الأدب ، أعظم وأشد على من مصِبتى بآبئى ^(١) .



وهكذا أسس « المنصور » حياة علمية أدبية في « بغداد » ، وكان أول من أنشأ بها مدارس للطب والعلوم الدينية ، أنفق في سبيلها أموالاً طائلة ^(٢) .

وحسبه أنه لم ينس ، وهو يُقطع القِطائع في بغداد ، أن يُقطع الشعراء والكتاب ، فأقطع أبا دلامة زَند بن الجَون الشاعر (١٦٠ هـ) كما أقطع ابن أبي سعل الشاعر ^(٣) ، وكذلك أقطع عُمارة بن حمزة الكاتب (١٨٠ هـ) .

وعلى هذه الحال التي بدأ بها « أبو جعفر » سارت الحياة في « بغداد » ، لم يتخاف عنها آبنه « المهدي » ، فقد كان هو الآخر نقادة للشعر أدبياً ^(٤) .

وفي أيامه وضع له وزيره « أبو عبيد الله معاوية بن يسار » كتاب الخراج ، ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده .

وهو أول من صنف كتاباً في الخراج ، وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا في هذا الفن ^(٥) .

وَألف له « المفضل الضبي » المفضليات .

(١) الأغاني (٦ : ٦١) . (٢) تاريخ بغداد القديم والحديث (ص ١٠) .

(٣) تاريخ بغداد (١ : ٨٦ - ٨٧) .

(٤) إرشاد الأريب (٦ : ٣ - ١١) الأغاني (٣ : ٥٥) .

(٥) تاريخ الأمم الإسلامية (٨٩) .

وفي حجر « المهدي » نشأ أبنه « إبراهيم » أدبيا شاعرا موسيقيا . ولقد شارك في التأليف ، فألف كتابا في الأدب سماه « أدب إبراهيم » ، وكتابا في الطبخ ، وآخر في الطب ، وكتابا في الغناء . إلا أنها كلها لعبت بها يد الزمان فضاعت فيما ضاع ^(١) .



وتنقل الأمور إلى الرشيد (١٧١ هـ - ١٩٣ هـ) ولم يكن دون سابقه رغبة في العلم ، وحبا للعلماء ، وولوعا بالأدب . ولقد حكى عنه أنه كان يحفظ شعر ذي الرمة ^(٢) . ولقد أفسح للعلماء والحكماء والأدباء ، وبذل الكثير من المال لنشر العلوم والفنون ، وبلغت « بغداد » في أيامه مكانة لم تظفر بها مدينة في ذلك العهد . وأصبحت مهد الحضارة ، ومركزا للفنون والآداب ، وزحرت بالأدباء والشعراء والعلماء والحكماء .

وأنشئت فيها المراصد والمكتبات والبيارات والمدارس . وإليه يعزى تأسيس بيت الحكمة ، الذي جمع له من الكتب شيئا كثيرا ، وكان مجتمع المتصالحين بالعلم ، والمشتغلين بالفن ، والراغبين في الأدب ^(٣) .



وبل انخلاق « الأمين » (١٩٣ هـ - ١٩٨ هـ) قُتِشغل « بغداد » شيئا بالفتنة التي ثارت بينه وبين أخيه « المأمون » .

ولكن الزمن لا يمتد بتلك الفتنة كثيرا حتى يمضي « الأمين » مقتولا ، ويقبض المأمون (١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ) على زمام الأمر ، ويعود إلى « بغداد » نشاطها العلمي والأدبي .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (٢٢) .

(٢) الأغاني (٧ : ٣٩) .

(٣) مختصر الدول لابن العبري .

ويتجه «المأمون» إلى بيت الحكمة الذى أسسه أبوه «الرشيد» فيفرد فيه لكل عالم ركنًا، فتزدحم جَنَّات هذا البيت بالعلماء والفلاسفة والمترجمين والمؤلفين وأئمة اللغة ورجال الأدب^(١).

ففى عهده بدأ أبو يوسف يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب ، نشاطه الفكرى الذى لم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية عن طريق الترجمة والاقتباس ، بل عدا ذلك إلى دراسات فى التاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجوىة .

وفى عهده ترجم «الحجاج بن يوسف بن مطر» مصنفات «إقليدس» ، وكتاب بطليموس ، المعروف بالمجسطى .

وفى أيامه وضع «محمد الخوارزمى» أول كتاب مستقل فى الجبر^(٢).



ولم تفقد «بغداد» حظها العلمى والأدبى فى الأيام الأولى من حياة «المعتصم» (٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ) . ولكنه ما كاد ينتقل عنها فى سنة ٢٢١ هـ إلى مدينته الجديدة «سُرمن رأى» حتى بدأت الحياة العلمية والأدبية فى «بغداد» تنحبو قليلا . وبقيت على ذلك فترة امتدت إلى أواخر أيام الخليفة «المعتد على الله» حتى إذا ما عاد إليها سنة (٢٧٩ هـ) دبّت فيها الحياة مرة ثانية ، وعاد إليها نشاطها .



مظاهر الحياة الأدبية والعلمية ببغداد :

وهكذا مهد الخلفاء حياة زاهية ، انتعش فيها الأدب ، وانتعشت العلوم والفنون ،

وشارك فى هذا وذاك جم غفير زحرت بهم «بغداد» .

(١) الفخرى لابن الطقطقى . (٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (٢ : ٣٩ - ٤١) .

- ويسجل لها التاريخ في المائة العام الأولى من تأسيسها صور هذا النشاط ،
 فترى أن ذلك القرن عاش فيه من الشعراء جملة ، كان لهم الشعراء على الخالد ، منهم :
 (١) مطيع بن إياس - الذي انقطع إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور .^(١)
 (٢) أبودلامة زبد بن الجون (١٦١ هـ) الذي انقطع إلى أبي العباس السفاح ،
 والمنصور ، والمهدى .^(٢)
 (٣) حماد مجرد (١٦١ هـ) - وقد وفد على بغداد أيام المهدى .^(٣)
 (٤) بشار بن برد (١٦٧ هـ) - وقد نشأ في البصرة ، ثم قدم « بغداد » بعد
 أن بناها المنصور .^(٤)
 (٥) صالح بن عبد القدوس (١٦٧ هـ) - نشأ بالبصرة ووفد على الرشيد ببغداد .^(٥)
 (٦) السيد الحميري (١٧٣ هـ) نشأ بالبصرة ووفد على الرشيد ببغداد .^(٦)
 (٧) مروان بن أبي حفصة (١٨١ هـ) قدم بغداد ومدح المهدى ثم الرشيد .^(٧)
 (٨) سلم الخاسر (١٨٦ هـ) وكان مداحاً للبرامكة .^(٨)

- (١) الأغاني (١٢ : ٧٨ ، ١٣ : ٨٥ ، ٢١ : ٩٧) .
 (٢) الأغاني (٧ : ١٣٠) وفيات الأعيان (١ : ١٩٠) الشعر والشعراء (٧٨ : ٤٧٨) طبقات
 الشعراء لابن المعتز (٥٤) .
 (٣) الأغاني (١٣ : ٧٣) وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) الشعر والشعراء (٤٩٠ : ٤٩٠) ابن المعتز (٦٧)
 تاريخ بغداد (٨ : ١٤٨) .
 (٤) الأغاني (٣ : ١٩ ، ٦ : ٤٨) ، ابن خلكان (١ : ٨٨) الشعر والشعراء (٤٧٦ : ٤٧٦)
 ابن المعتز (٢١) تاريخ بغداد (٧ : ١١٢) .
 (٥) ابن المعتز (٩٠) معجم الأدباء - تاريخ بغداد (٩ : ٣٠٣) فوات الوفيات (١ : ١٩١) .
 (٦) الأغاني (٧ : ٢) ابن المعتز (٣٢) .
 (٧) تاريخ بغداد (١٣ / ١٤٢) الأغاني (٩ : ٣٦) الشعر والشعراء (٤٨١ : ٤٨١) .
 (٨) تاريخ بغداد (٢٤٢) الأغاني (٢١ : ١١٠) ابن المعتز (٩٩) .

- (٩) منصور النمرى — وكان موصولاً بالرشيد^(١) .
- (١٠) أبان بن عبد الحميد — وهو الذى نظم كتاب كلبلة ودمنة شعرا . وكان موصولاً بالبرامكة^(٢) .
- (١١) العباس بن الأحنف (١٩٢ هـ) — سكن بغداد إلى أن توفى^(٣) .
- (١٢) أبو الشَّيص محمد بن رزين (١٩٦ هـ) — وكان معاصراً لأبى نواس^(٤) .
- (١٣) أبو نواس الحسن بن هانئ (١٩٨ هـ) — ولد فى الأهواز ، ونشأ بالبصرة ، ثم انتقل إلى الكوفة ثم إلى بغداد^(٥) .
- (١٤) ابن منذر محمد (١٩٨ هـ) — من شعراء البرامكة ، واتصل بالرشيد^(٦) .
- (١٥) الرقاشى الفضل بن عبد الصمد (٢٠٠ هـ) — من أهل البصرة ، وانقطع إلى البرامكة^(٧) .
- (١٦) أشجع السلمى — اتصل بالبرامكة ، ثم اتصل بالرشيد^(٨) .
- (١٧) ربيعة الرقى بن ثابت الأنصارى — اتصل بالمهدى ، والرشيد^(٩) .
-
- (١) تاريخ بغداد (١٣ : ٦٥) ابن المعتز (٢٤٢) الأغانى (١٧ : ١٢) ابن قتيبة (٥٤٦) .
- (٢) تاريخ بغداد (٧ : ٤٤) الأغانى (٢٠ : ٧٣) الفهرست لابن النديم (١٦٣) .
- (٣) تاريخ بغداد (١٢ : ١٢٨) والموشح (٢٩٠) الأغانى (٨ : ١٥) ابن خلكان (٢٤٥ : ١) .
- (٤) تاريخ بغداد (٥ : ٤٠١) الأغانى (١٥ : ١٠٨) ابن قتيبة (٥٣٥) .
- (٥) تاريخ بغداد (٩ : ٤٣٦) ابن المعتز (١٩٣) ابن قتيبة (٥٠١) .
- (٦) الأغانى (١٧ : ٩) ابن المعتز (١١٩) ابن قتيبة (٥٥٣) .
- (٧) تاريخ بغداد (١٢ : ٢٤٥) ابن المعتز (٢٢٦) ابن قتيبة (٥١٥) الأغانى (١٥ : ٣٥) .
- (٨) تاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ابن المعتز (٢٥١) الأغانى (١٧ : ٣٥) وابن قتيبة (٥٦٢) .
- (٩) الأغانى (١٥ : ٣٩) خزائن الأدب (٧/٥٥) ابن المعتز (١٥٧) نكت الهميان (١٥١) .

- (١٨) مسلم بن الوليد (٢٠٩ هـ) — اتصل بالبرامكة، ثم المأمون^(١) .
 (١٩) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (٢١١ هـ) — نشأ بالكوفة، ثم وفد على بغداد
 أول خلافة المهدي^(٢) .
 (٢٠) العكوك علي بن جبلة (٢١٣ هـ) — من أهل بغداد، بها ولد ونشأ^(٣) .
 (٢١) كلثوم بن عمرو العتابي (٢٢٠ هـ) — اتصل بالرشيد^(٤) .



هذا ركن من أركان الحياة الأدبية في « بغداد » ، يصور الناحية الشعرية
 وما اتسعت له من شعراء، وما امتلأت به من شعر .

وكان إلى جانب الشعراء : الرواة ، والإخباريون ، والنسابة ، يفيضون على
 الناس من علوم السلف وأخبارهم ما يزيد في ثقافتهم ، ويصلهم بترائهم ، نسوق
 لك منهم :

- (١) أبا عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩ هـ) — نشأ بالبصرة ، ووفد على الخلفاء
 ببغداد . ذكر له ابن النديم في كتابه « الفهرست » مائة مؤلف وخمسة
 في موضوعات شتى ، في : القرآن ، واللغة ، والأمثال ، والفتوح ، والأنساب
 والمناقب ، وبيوتات العرب ، وأيامهم ، والتراجم .

- (١) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٦) ابن المعتز (٢٣٥) ابن قتيبة (٥٢٨) .
 (٢) تاريخ بغداد (٦ : ٢٥) ابن المعتز (٢٢٨) ابن خلكان (١ : ٧١) .
 (٣) تاريخ بغداد (١١ : ٣٥٩) ابن المعتز (١٧١) ابن قتيبة (٥٥٠) ابن خلكان (١ : ٣٤٨)
 الأغاني (١٨ : ١٠٠) .
 (٤) تاريخ بغداد (١٢ : ٤٨٨) ابن المعتز (٢٦١) المرباني (٣٥١) الأغاني (١٢ : ٢) .

ولم يصلنا من هذه كلها إلا كتابه : نقائض جرير والفرزدق^(١) .

(٢) الأصمعي عبد الملك بن قريب (٢١٤ هـ) — نشأ في البصرة . وقدم بغداد

في أيام الرشيد . ثم عاد عنها إلى البصرة لما ولي المأمون .

ذكره ابن النديم في كتابه «الفهرست» نيفاً وأربعين كتاباً في موضوعات

مختلفة ، ذهب معظمها . ومما بقي له :

(١) الأصمعيات . مجموعة مختارة من الشعراء .

(ب) رجز العجاج .

(ج) أسماء الوحوش .

(د) كتاب الإبل .

(هـ) « خلق الإنسان .

(و) « الخيل .

(ز) « الشاء .

(ح) كتاب الدارات .

(ط) « الفرق .

(ي) « النبات والشجر .

(ك) « النخل والكروم .

(ل) « الغريب^(٢)

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٥٢) أخبار النحويين (٦٧) إنباه الرواة للقفطي (٣ : ٢٧٦)

بغية الوعاة (٣٩٥) كما قد ترجم له ابن قتيبة في هذا الكتاب .

(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ٤١٠) أخبار النحويين (٥٨) إنباه الرواة (٢ : ١٩٧) ابن خلكان

(١ : ٢٨٨) طبقات القراء (١ : ٤٧٠) . اللباب لابن الأثير (١ : ٥٦) . مرآة الجنان

(٢ : ٦٤) وقد ترجم له المؤلف في هذا الكتاب .

(٣) أبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) — نشأ بالبصرة، وقدم بغداد

حين قيام المهدي . ومن كتبه التي بقيت لنا :

(١) كتاب النوادر في اللغة .

(ب) » المطر .

(ج) » اللبن^(١) .

(٤) أبا عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ) — عاصر المأمون ، وكان منقطعا

إلى عبد الله بن طاهر .

ذكر له ابن النديم بضعة وعشرين كتابا ، لم يصلنا منها إلا :

(١) كتاب غريب الحديث .

(ب) » » المصنف .

(ج) » الأمثال .

(د) » فضائل القرآن .

(هـ) » المواعظ^(٢) .



وغير هؤلاء الرواة رواة آخرون غلبت عليهم رواية الشعر ، فكانوا حفظته ،

وإليهم كان المرجع فيه ، نذكر منهم :

(١) حماد الراوية (١٥٦ هـ) — نشأ في الكوفة ، وقدم على المنصور ببغداد ،

وهو الذي جمع المعلقات التي بين أيدينا ، وجمع أشعار أكثر القبائل ، وجمع

(١) تاريخ بغداد (٧٧ : ٩) وفيات الأعيان (٢١٧ : ١) أخبار النحويين (٥٢) إنباه الرواة

(٢ : ٣٠) معجم الأدياء (٢١٢ : ١١) تهذيب التهذيب (٤ : ٣) طبقات الزبيدي (١١٦)

(٢) وفيات الأعيان (٤١٨ : ١) إنباه الرواة (١٢ : ٣) طبقات القراء (١٦ : ٢) روضات

الحنان (٥٢٦) تذكرة الحفاظ (٢ : ٥)

شعر كل قبيلة أو شاعر في كتاب . ولكنها ضاعت كلها ، ولم يذكر صاحب
الفهرست منها شيئاً ^(١) .

(٢) المفضل بن محمد الضبي (١٦٨ هـ) — وفد على المهدي فقتله ، وجمع له
الأشعار المختارة التي سماها : المفضليات .
وله غير « المفضليات » كتاب الأمثال ^(٢) .

(٣) أبا عمرو الشيباني إسحاق بن مرار (٢٠٦ هـ) — وقد جمع أشعار نيف
وثمانين قبيلة .

وله مؤلفات في : الخيل ، والحديث ، والنوادر ، وخلق الإنسان ،
والحروف . ذكرها صاحب الفهرست . ولم يصلنا منها إلا كتاب الجيم ،
في اللغة ^(٣) .

(٤) محمد بن سلام الجمحي (٢٣٢ هـ) — صاحب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين
والإسلاميين ^(٤) .



وكما ظفرت «بغداد» بالشعراء ورؤاة الأشعار ظفرت أيضاً بطائفة من
علماء النحو أثاروا فيها الرأي ، ورسموا للنحو رسومه ، وبينوا مناهجه ، منهم :

- (١) الأغاني (١٦٤: ٥) وفيات الأعيان (١٦٤: ١) .
- (٢) تاريخ بغداد (١٣: ١٢١) ميزان الاعتدال (٢: ٤٩٨) طبقات القراء (٢: ٣٠٧)
الأنساب للسمعاني (٣٦١) .
- (٣) تاريخ بغداد (٦: ٣٢٩) ابن خلكان (١: ٦٥) معجم الأدباء (٢: ٢٣٣) إنباء الرواة
(١: ٢٢١) روضات الجنان (١٠٠) .
- (٤) تاريخ بغداد (٥: ٢٢٧) طبقات الزبيدي (١٢٧) اللباب (٣٢٦) مراتب النحويين لأبي
الطيب اللغوي (٢٠٨) إنباء الرواة (٧: ١٤٣) طبقات ابن قاضي شعبة (١: ٥٧) معجم
الأدباء (٨: ٢٠٤) .

(١) سيويه عمرو بن عثمان (١٨٣ هـ) - نشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد،
وأتصل بالرشيد ونال جوائزه .

والناس يعدون « كتاب سيويه » من الأصول في النحو^(١) .

(٢) الكسائي علي بن حمزة (١٨٩ هـ) - استقدمه الخلفاء العباسيون إلى بغداد
ليعلم أبناءهم . وقدمه اليرامكة ورفعوا شأنه .

وقد ألف الكسائي كتباً عدة في : النحو، والقراءات، والنواذر . لم يصلنا
منها إلا رسالة له في لحن العامة^(٢) .

(٣) الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ) - حظى عند « المأمون » وعهد
إليه بتعليم أبنيه النحو .

وله مؤلفات عدة في النحو واللغة، ولم يصلنا منها إلا :

(١) كتاب معاني القرآن .

(ب) « المذكر والمؤنث »^(٣) .

(٤) ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (٢٤٤ هـ) - وكان يؤدّب
ولد جعفر المنوكل .

وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في : النحو، واللغة، والمنطق . ذكرها
صاحب الفهرست ، لا نعرف منها إلا :

(١) ابن خلكان (٩٩: ٢) أخبار النحويين (٤٨) إنباء الرواة (٣٤٦: ٢) طبقات الزبيدي

(٣٨) طبقات القراء (٦٠٢: ١) طبقات ابن قاضي شعبة (٢٠٦: ٢) .

(٢) تاريخ بغداد (٤٠٣: ١١) إنباء الرواة (٢٥٦: ٢) مرآة الجنان (٤٢١: ١) طبقات

الزبيدي (٨٨) بغية الوعاة (٣٣٦) .

(٣) وفيات الأعيان (٢٢٨: ٢) شذرات الذهب (١١٥: ٢) الفهرست (٦٦) .

(١) كتاب إصلاح المنطق .

(ب) » تهذيب الألفاظ^(١) .



وإلى جانب الشعراء، ورواة الشعر، وعلماء النحو، كان في « بغداد »

صفوة من رجال اللغة نهضوا بعبء المعاجم في أول عهدها، منهم :

(١) الخليل بن أحمد (١٨٠ هـ) — نشأ في البصرة غير بعيد عن بغداد .

وهو أول من ضبط اللغة وأخرج علم العروض إلى الوجود، ومن كتبه :

(١) كتاب العين — معجم مرتب على مخارج الحروف .

(ب) » في معنى الحروف .

وقد ذكر له ابن النديم من المؤلفات : كتاب النغم، وكتاب العروض،

وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل، وكتاب الإيقاع . غير أن

هذا كله قد ضاع^(٢) .

(٢) مؤرج بن عمر السدوسي (١٩٥ هـ) — صاحب المأمون .

وله من المؤلفات : كتاب الأنواء، وكتاب غريب القرآن، وكتاب

جواهر القبائل، وكتاب المعاني . وكتب أخرى غيرها، لم يصلنا منها شيء^(٣) .

(١) وفيات الأعيان (٢ : ٣٠٩) الفهرست (٧٢) طبقات الزبدي (٢٢١) .

(٢) أخبار النعمانيين (٣٨) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١٧٧) وفيات الأعيان (١ : ١٧٢)

طبقات الفراء (١ : ٢٧٥) اللباب (٢ : ٢٠١) معجم الأدباء (١١ : ٧٢) مراتب

النعمانيين (٤٣) .

(٣) وفيات الأعيان (٢ : ١٣) تاريخ بغداد (١٣ : ٥٨) طبقات ابن قاضي شعبة (٢ : ٢٦١)

معجم الأدباء (١٩ : ١٩٦) إنباء الرواة (٣ : ٣٢٧) وقد ذكره المؤلف في هذا الكتاب .

(٣) النضر بن شميل (٢٠٣ هـ) — وقد اتصل بالمأمون .
وله كتب عدة ذكرها ابن النديم . ولم يصلنا منها إلا كتاب :
غريب الحديث ^(١) .

(٤) قطرب أبو علي محمد بن المستنير (٢٠٦ هـ) — نشأ بالبصرة، ولم تنقطع صلته
ببغداد . وله مؤلفات منها :

(١) كتاب الأضداد .

(ب) ما خالف فيه الإنسان البهيمة .

(ج) الأزمنة .

(د) مثلث قطرب ^(٢) .

(٥) آبن الأعرابي أبو عبد الله محمود بن زياد (٢٣١ هـ) .

له من الكتب الباقية إلى اليوم :

(١) كتاب أسماء البقر وصفاتها .

(ب) كتاب أسماء الخيل وأنسابها ^(٣) .



وتنشط الكتابة بنشاط الحياة في بغداد، ويتجمع لها كتاب منشئون ،

منهم :

(١) وفيات الأعيان (٢ : ١٦١) فهرست ابن النديم (٥٢) مراتب النحويين (١٠٣)
طبقات القراء (١ : ١٤١) .

(٢) أخبار النحويين (١٩) مراتب النحويين (١٠٨) تاريخ بغداد (٣ : ٣٩٨) إنباء الرواة
(٣ : ٢١٩) معجم الأدباء (١٩ : ٥٢) روضات الجنان (٥٨٥) .

(٣) تاريخ بغداد (٥ : ٢٨٢) إنباء الرواة (٣ : ١٢٨) ابن خلكان (١ : ٤٩٢) معجم
الأدباء (١٨ : ١٨٩) مراتب النحويين (١٤٩) .

- (١) طاهر بن الحسين (٢١٧ هـ) — وكان متصلا بالمأمون^(١) .
- (٢) أحمد بن يوسف (٢١٣ هـ) — كاتب المأمون .
- (٣) عمرو بن مسعدة (٢١٧ هـ) — وكان مختصا بالبرامكة^(٢) .
- (٤) حميد بن مهران — كاتب البرامكة .



والى جانب الكتاب المنشئين كان هناك كتاب مؤلفون، نذكر منهم :

- (١) عبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ) — وكان مختصا بالمنصور .
وله من الكتب : كتاب كلیلة ودمنة — الأدب الصغير — الدرّة الیّمة
(الأدب الكبير) — رسالة فی الأخلاق .
وله كتب أخرى نقلها عن الفارسية ، منها : كتاب التاج فی سیرة
أنوشروان — كتاب سیرة ملوك العجم — وقد نقل عنه ابن قتیبة فی كتابه :
عیون الأخبار^(٣) .
- (٢) سهل بن هارون (١٧٣ هـ) — أقام فی «بغداد» یخدم المأمون . وقد تولى
له ریاسة خزانة بیت الحكمة .
وله من الكتب : دیوان الرسائل — والإخوان — والمسائل —
وغیرها^(٤) .

-
- (١) وفيات الأعيان (١ : ٢٣٥) .
 - (٢) وفيات الأعيان (١ : ٣٩٠) .
 - (٣) وفيات الأعيان (١ : ١٤٩) تراجم الحكماء للقفطی (١٤٨) الفهرست (١١٨) الوزراء
والكتاب للبهشاری (١٠٣) .
 - (٤) البیان والنبین (١ : ٣٠) الفهرست (١٢٠) الدمیری (١ : ٣١٣) .

- (٣) علي بن عبيد الریحانی — وكان مختصا بالمأمون .
وقد ذكر له ابن النديم نحواً من خمسين مؤلفاً ، ضاعت كلها^(١) .



ولم تنس «بغداد» نصيبها من الموسيقى والغناء . فلقد شاركت فيها مشاركة جديّة على نحو مشاركتها في العلوم ، وآتت لنا هذه نفر من رجالها يضعون فيها المؤلفات ، منهم :

- (١) يحيى بن أبي منصور ، وقد ألف كتاباً في الأغاني على الحروف ، وآخر في العود والملاهي ، إلا أنهما ضاعا فيما ضاع^(٢) .
(٢) إسحاق بن إبراهيم الموصلي (٢٣٥هـ) — وقد نادى الرشيد والمأمون والوائق . ومن مصنفاته : كتاب في الأغاني — أخبار عزة الميلاء — أغاني معبد — الاختيار من الأغاني — الرقص والزفن — النغم والإيقاع — قيان الحجاز ، وغيرها^(٣) .
(٣) إبراهيم بن المهدي (٢٢٤هـ) — وكان قد طمع في الخلافة ، فلما استتب الأمر لأخيه المأمون أنصرف هو إلى الغناء^(٤) .



وفي ظل الخلافة البغدادية الأولى ضُبط الفقه ودوّنت أحكامه ، نذكر من أئمنه :

- (١) الفهرست (١١٩) . (٢) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ١٥٨)
(٣) الفهرست لابن النديم (١ : ١٤٠) (٤) وانظر تاريخ الغناء في الجاهلية والإسلام (٣ : ٥٦١٩٧ : ٣٢) من تاريخ التمدن الإسلامي .

(١) أبا حنيفة النعمان (١٥٠هـ) — نشأ بالكوفة، وأتصل بأبي جعفر المنصور .
ومن مؤلفاته الباقية : الفقه الأكبر — مسند أبي حنيفة — المخارج
في الحيل^(١) .

(٢) أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم (١٨٢ هـ) — تولى قضاء « بغداد » للهدى
والرشيد . ومن مؤلفاته الباقية : كتاب الخراج^(٢) .

(٣) محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩ هـ) — نشأ بالكوفة، واتصل بالرشيد،
وألف كتباً كثيرة في الفقه وغيره ، منها :

كتاب المبسوط — كتاب الزيادات — الجامع الكبير — الجامع الصغير^(٣) .

(٤) أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) — ولد في بغداد وبها نشأ . ومن مؤلفاته :
المسند في الحديث — السنة موصل المعتقد إلى الجنة — كتاب الزهد^(٤) .



واشتغل بالحديث في هذا العصر جماعة كبيرة ، منهم ببغداد :

(١) ابن جريح (١٤٩ هـ) .

(٢) الواقدى (٢٠٧ هـ) .

كما كان منهم نفر قرييون من بغداد ، منهم :

(١) سفيان الثوري (١٦١ هـ) .

(٢) زياد البكائي (١٨٣ هـ) .

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٣٤٣) وفيات الأعيان (٢ : ١٦٣) الفهرست (٢٠١) .

(٢) الفهرست (٢٤٩) وفيات الأعيان (٢ : ٣٠٣) .

(٣) وفيات الأعيان (١ : ٥٣) وقد ترجم له المؤلف في هذا الكتاب .

(٤) تاريخ بغداد (٤ : ٤١٢) الفهرست (٢١٩) .

(٣) ابن عياش (١٩٣ هـ) .

(٤) عبدالله بن مسلمة (٢٢١ هـ) .



وفي ظل الخلافة البغدادية الأولى بدأ التاريخ يأخذ مظهره الحق ،

ويفرغ له نقر من المؤرخين ، منهم :

(١) محمد بن إسحاق (١٥١ هـ) — اتصل بالمنصور . ومات ببغداد . وكان عالماً

بالمغازي والسير .

وله : كتاب السيرة ^(١) .

(٢) هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٦ هـ) — نشأ بالكوفة ، وكان موصولاً

بالحياة في بغداد .

وقد عدوا له نيفا ومائة وخمسين كتاباً ، منها :

جمهرة الأنساب — الأضنام — بيوتات قريش — الكنى — بيوتات

اليمن — تاريخ أجناد الخلفاء — تسمية من بالمجاز من أجناد العرب ^(٢) .

(٣) الواقدي محمد بن عمر (٢١٧ هـ) — قزبه المأمون وولاه القضاء بشرقي بغداد .

وقد ذكر ابن النديم له نحواً من ثمانية وعشرين كتاباً ، بين أيدينا منها :

(١) كتاب المغازي .

(ب) كتاب فتوح الشام .

(ج) فتح إفريقيا .

(١) ابن خلكان (٦ : ٤٨٣) .

(٢) وفیات الأعيان (٢ : ١٩٥) الفهرست (٩٥) معجم الأدباء (١٩ / ٢٨٧) .

(٤) كتاب فتح مصر والإسكندرية ^(١) .

(٤) ابن سعد محمد (٢٣٠ هـ) — ولد في البصرة، وسكن بغداد ومات بها .
وله : كتاب الطبقات الكبرى ^(٢) .



هذا إجمال للبيئة التي تلقت صاحب كتابنا « المعارف » أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ هـ — ٢٧٦ هـ) نصف شيئا يسبق مولده ، وشيئا يصاحبه في صباه حتى شب .

وهو حين جاوز مرتبة التحصيل ، وأصبح بعد من الشيوخ ، كان إلى جواره في « بغداد » ، وقرىبا من « بغداد » ، أمثال هؤلاء الذين مرت بك حديثهم ، فلقد عاصر من الشعراء :

(١) دعبلا الخزاعي (٢٤٦ هـ) — نشأ بالكوفة ، ودخل إلى بغداد أيام الرشيد ^(٣) .

(٢) الحسين بن الضحاك (٢٥٠ هـ) — اتصل بالأمين ثم المأمون ^(٤) .

(٣) ابن الرومي أبا الحسن علي بن العباس (٢٨٣ هـ) — وكان من موالى العباس . ولد في بغداد وبها توفي .

(٤) البحترى أبا عباد ، الوليد بن عبيد (٢٨٤ هـ) . وقد أقام ببغداد دهرا طويلا .

(٥) ابن المعتز أبا العباس عبد الله .

(٦) فضل ، جارية المتوكل العباسي .

(١) وفيات الأعيان (١ : ٥٠٧) الفهرست (٩٨) وقد ترجم له المؤلف في هذا الكتاب .

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٥٠٧) الفهرست (٩٩) . (٣) تاريخ بغداد (٨ : ٣٨٢)

ابن قتيبة (٥٣٩) ابن المعتز (٢٦٤) الأغاني (١٨ : ٢٩) ابن خلكان (١ : ١٧٨) .

(٤) تاريخ بغداد (٨ : ٥٤) ابن المعتز (٢٦٤) الأغاني (٦ : ١٧) ابن خلكان (١ : ١٥٤) .



كما عاصر من الكتاب .

الجاحظ أبا عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ) .

ومن مؤلفاته : الحيوان — المحاسن والأضداد — الرسائل — البيان

والتبين — البخلاء .

ومن الرواة الأدباء :

السكري أبا سعيد الحسن بن الحسين (٢٧٥ هـ) . الذي جمع ما بين أيدينا

من أشعار الجاهليين وصدر الإسلام إلى أيامه .

ومن النحاة :

أبا العباس المازني (٢٤٩ هـ) — وأبا العباس ثعلب (٢٩١ هـ) .

ومن اللغويين :

المفضل بن سلامة الضبي (٢٥٠ هـ) — وأبا عمرو الهروي (٢٥٥ هـ) —

وأبا حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ) — وأبا العباس المبرد (٢٨٥ هـ) .

ومن المؤرخين :

محمد بن حبيب مولى بنى العباس (٢٤٥ هـ) — والزيبر بن بكار (٢٥٦ هـ) —

الذي وفد على « بغداد » مرات ، آخرها سنة ٢٥٣ هـ — وعمر بن شبة (٢٦٢ هـ) —

واليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب (٢٧٨ هـ) — والبلاذرى أبا جعفر أحمد بن يحيى

(٢٧٩ هـ) .

وابن طيفور أحمد بن طاهر (٢٨٠هـ) — وأبا حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ) .

ومن الجغرافيين :

أبن خرداذبه عبيد الله بن أحمد (٢٨٠هـ) — وأبن الفقيه أحمد بن محمد

(٢٨٠هـ) .

ومن علماء الكلام :

أبا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (٢٣٢هـ) .

ومن علماء الحديث :

البخاري محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) — وابن ماجه محمد بن يزيد (٢٧٣هـ) —

وأبا داود السجستاني (٢٧٥هـ) .

ومن الفلاسفة والمنطقيين :

ابن ما سويه يوحنا (٢٥٣هـ) .



وهناك غير هؤلاء ممن عاصرهم المؤلف ، ولكنها كانت معاصرة قصيرة

الأمدة ، أدرك هو منها قليلا ، وأمتدت بهم السن كثيرا ، منهم :

الرازي (٣٢٠هـ) — والطبري (٣١٠هـ) وابن دريد (٣٢١هـ) —

والزجاج (٣١١هـ) .

ولكنهم كانوا ممن عمروا تلك البيئة وأيقظوها ، ووقع المؤلف على ما لهم ،

وإن لم يدركه كله .



اجمال عن الحياة العلمية :

لقد رأيت كيف حفلت هذه الفترة الصغيرة، التي لا تزيد عن قرن إلا بقليل، بتلك الكثرة من العلماء على مختلف ألوانهم .

يعزو الدارسون ذلك إلى أن من ولى خلافة «بغداد» في تلك الفترة كانوا من الخلفاء العلماء، فرغبوا في العلم وأحسنوا وفادة أهله وشجعوهم عليه، فانتعشت بغداد بمن فيها وبمن وفد إليها، وأصبحت ميدانا لحركة علمية فكرية واسعة .

ويكتب لهذه الحركة أن تبلغ أوجها على يدى المأمون، ويكون المأمون نفسه على رأس تلك الحركة عالماً يشارك العلماء الرأى ، ويأخذ معهم في الحديث .

ويسود العصر لون من التسامح الفكرى يشجع العلماء والمفكرون في ظله على القول، فكان لذلك أثره الكبير في ظهور الفرق الكلامية، واحتدام الجدل بينها .

ولقد كان أكثر الخلفاء تسامحاً المأمون^(١) . فظهر في هذا العصر نفر من جلة العلماء ورؤوس المتكلمين أوغلوا في البحث معتمدين على العقل ، مخالفين بما يقولون ما عليه علماء المسلمين .

ونشأ هذا الخلاف أول ما نشأ في البصرة ، ثم عداها إلى بغداد ؛ حمل لواءه واصل بن عطاء، ثم عمرو بن عبيد — الذى قربه المنصور إليه — ثم أبو الهذيل العلاف ، والنظام ، والمريسى بشر بن غياث ، والجاحظ ، وثمامة بن أشرس ، من شيوخ الاعتزال .

(١) تاريخ بغداد لابن طيفور (٧٦)

ومضى الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة يتسع ، حتى تُوج أخيرا بتلك المشكلة التي مال فيها المأمون إلى رأى المعتزلة — وهى مشكلة خلق القرآن — تلك المشكلة التي شغلت المأمون أكثر مما شغلت المتكلمين ، وعنى بها المأمون نفسه كما عنى بها المسلمين ، ووقف يناصب العداء كل من خالفه ، ويسومه سوء العذاب ^(١) .

ومن بعد « المأمون » يحيى « المعتصم » ، فيتورط فيما تورط فيه أخوه « المأمون » ، ويحيى « السوائق » فيمضى فيما مضى فيه أبوه « المعتصم » وعمه « المأمون » .

وأسمرت هذه المحنة حتى ملها الواثق ، وود لو وجد لنفسه منها مخرجا ، حتى إذا ما جاء المتوكل (٢٤٧ هـ) أمر بأن ينحلى بين الناس وبين ما يرون .



وإلى جانب هاتين المدرستين الكلاميتين — مدرسة المعتزلة ومدرسة أهل السنة اللتين قسمتا الناس فئتين — كانت تقوم مدرستان أخريان ، لا فى علم الكلام ، ولكن فى شئ آخر أهون ، لا يثير خلافا ، لا يجر أذى فى الأنفس ولا ضررا للأبدان ، هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، اللتان اشتغلنا بالنحو . وكان لكل مدرسة من هاتين المدرستين رأيها فى النحو ، ولكل رأى أتباعه وأشباعه .

وكانت مدرسة البصرة هى المدرسة الأولى ، وعلى رأسها : أبو الأسود ، وابن أبى إسحاق الحضرمي ، وعيسى بن عمر النخعي ، وهارون بن موسى .

(١) تاريخ الأمم الإسلامية (٢١٠ - ٢١٥) .

ثم جاء الكوفيون من بعدهم فقلدوهم في شيء وخالفوهم في شيء ، وقامت المناظرة بين البلدين ، وصار لكل منهما مذهب .

وعلى الرغم من تقدم مدرسة البصرة وسبقها ، فقد ظهرت عليها مدرسة الكوفة ، وذلك لمناصرة خلفاء بغداد لهم ، وتفضيل أساتذة هذه المدرسة الكوفية على أساتذة تلك المدرسة البصرية ، فلقد اختار هؤلاء الخلفاء لأولادهم : الكسائي ، والفراء ، والمفضل الضبي ، والشرقي بن القطامي ، وكلهم من المدرسة الكوفية .

ولقد رأينا المأمون يتحامل على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي^(١) .



هذا إلى أنه لما عمرت «بغداد» توافد الناس إليها من كل حذب وصوب ، فريق يطلب الكسب ، وفريق تستمويه الحياة العلمية والفكرية ، وفريق يطلب حياة الترف ؛ فإذا «بغداد» معترك يشارك فيه إلى جانب العربي : الفارسي ، والرومي ، والنبطي ، والتركي ، والصيني ، والهندي ، والبربري ، والزنجي . وفيهم : المسلم ، والنصراني ، واليهودي ، والصابئي ، والسامري ، والمجوسي ، والبوذي ، وغيرهم .

وهؤلاء لاشك قد حملوا إلى «بغداد» ألوانا من الفكر والثقافة ، سرعان ما انتفعت بها «بغداد» وأثرت فيها .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (١٣٠) ضحى الإسلام (٢ : ٢٥) الإنصاف في مسائل الخلاف .



وصحبت هذا رغبة الخلفاء في نقل العلوم والفنون إلى اللغة العربية، فبدأ « المنصور » يعنى بنقل كتب النجوم والطب، ويحيى « الرشيد » فينقل في أيامه كتاب المجسطى . ثم يظل عصر « المأمون » فتتسع حركة النقل في أيامه . وكان أكثر هؤلاء النقلة من السريان النساطرة، لأنهم كانوا أقدر على الترجمة من اليونانية، وكان أشهرهم : آل بختيشوع، وآل حنين، وقسطا بن لوقا، وغيرهم . وكان أشهر النقلة من الفارسية إلى العربية : ابن المقفع، والفضل بن نوبخت، وموسى ويوسف : ابنا خالد، وكثير غيرهم .^(١)

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) : منكه الهندى، وأبن دهن . ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) : أبن وحشية، نقل كتباً كثيرة . أهمها : كتاب الفلاحة النبطية .

ولقد بلغ عدد الكتب التى نقلت فى تلك الحقبة القصيرة بضع مئات .



هذا هو العصر الذى أقبل عليه ابن قتيبة والذى شارك فيه : عصر نزاع دينى . وعصر نزاع نحوى ، وعصر علوم مختلفة وثقافات متعددة . وكان بعيداً أن يعيش رجل مثل « ابن قتيبة » بمعزل عن هذا وذاك ، بل كان لابد أن يتأثر به وينغمس فيه . ولتأقبل أن نصل الحديث بابن قتيبة نحب أن نمهد له بشيء عنه .

(١) تاريخ المدن الإسلامى (٣ : ١٤٠) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ٣٣ - ٣٤) .

(٢) حياة المؤلف

ابن قتيبة^(١)

نسبه :

هو أبو محمد عبد الله — على هذا المراجع كلها ، وتأبى دائرة المعارف الإسلامية

إلا أن تسميه : أبا عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة المروزي .

- (١) مراتب النحويين لأبي الطيب (٣٥٢هـ) [ص ١٣٧] — التهذيب للأزهري (٣٧٠هـ) [مقدمة ١٢ ، ١٦] — طبقات النحويين للزبيدي (٣٧٩هـ) [ص ١٢٩] — الفهرست لابن النديم (٣٨٥هـ) [ص ٧٧] — تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) [١٠ : ٦٧٠] — الأنساب للسمعاني (٥٦٢هـ) [ص ٤٤٣] — نزهة الألب لابن الأنباري (٥٧٧هـ) [ص ٢٧٢ — ٢٧٤] — المنتظم لابن الجوزي (٥٩٧هـ) [ص ١٠٢] — اللباب لابن الأنباري (٦٠٦هـ) [٢ : ٢٤٢] — وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١هـ) [٢ : ٢٤٦] — إنباه الرواة للقفطي (٦٤٦هـ) [٢ : ١٤٣] — تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٦٧٦هـ) — تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٤٨هـ) [٢ : ١٨٧] — ميزان الاعتدال للذهبي (٢ : ٣٣) — مرآة الجنان لليافعي (٧٦٨هـ) [٢ : ١٩١] البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) [١١ : ٤٨] — الجواهر المضيئة للقرشي (٧٧٥) — تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن فطوفا (٧٨٩) لسان الميزان لابن حجر (٨٥٢هـ) [٣ : ٣٥٨] — النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٨٧٤هـ) (٣ : ٧٥) بغية الوعاة للسيوطي (٩١١هـ) [ص ٢٩١] — طبقات المفسرين للداودي (٩٥٠) — قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لمحمد الطيب (٩٥٢) — شذرات الذهب لابن العماد (١٠٣٢هـ) [٢ : ١٦٩] .

وانظر :

- (١) ابن قتيبة — نوايغ الفكر العربي (١٨) .
 (٢) تعريف بابن قتيبة — عيون الأخبار (٤ : مقدمة) . (٣) تعريف بابن قتيبة — كتاب الأشربة — مقدمة . (٤) تعريف بابن قتيبة — كتاب الميسر والقدح — مقدمة .
 (٥) تعريف بابن قتيبة — تأويل مشكل القرآن — مقدمة . (٦) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ١٩٧) . (٧) دائرة المعارف الإسلامية : ابن قتيبة .

(8) The life and works of IBN QUTAYBA by ISHAQ MUSA - HUSEINI

أما أبوه « مسلم » فقد عرفنا به أبو عبد الله ، وأنه كان من أهل العلم والحديث ، وإن لم يبلغ في ذلك مبلغ ابنه ، أو مبلغ من يسجل له اسم ، لهذا لم نجد كتابا من كتب المراجع ذكر اسمه .

ولو أن رجلا « أبا محمد » سكت هو الآخر ولم يذكر اسمه ، في أكثر من موضع من هذا الكتاب « المعارف » ، وفي كتابه « عيون الأخبار » حيث يقول : حدثني أبي ، لما عرفنا هذا القليل عنه ^(١) .

ويزيد ، « البغدادى » تعريفاً بأبيه « مسلم » فيقول : وقيل : إن أباه مروزي — يعني أنه كان من أهل مرو .

وأما جده « قتيبة » فقد اختلفوا في اشتقاق اسمه : فقالوا ، هو تصغير « قنبة » بالكسر ، واحدة الأفتاب ، وهى الأمعاء ، والنسبة إليه : قتيبي .

وقال الزبيدى : وفي التهذيب : ذهب الليث أن قتيبة مأخوذ من القتب ، ثم نقل عن الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم — رحمه الله — أنه فسر اسمه بمعنى : إكاف . ثم قال الزبيدى : وهذا يوافق ما قاله الليث .

مولده ووفاته :

ولا خلاف بين الذين ترجحوا لأبى محمد في السنة التى وُلد فيها — وهى سنة ٢١٣ هـ — وإن كان منهم نفر قد سكتوا عنها ، كالـبغدادى ، لا يذكرون معها شهرا — كما يفعلون فى الكثير ، وكما فعلوا حين أُرخوا وفاته .

علة ذلك أنهم التقوا به حين ذاع اسمه ، فحرصوا على جمع ماله ، ولم يلتفتوا إليه حين دخل عليهم الدنيا ، لأنه لم يكن مقدورا .

(١) المعارف ، عيون الأخبار (١ : ١٤٢ ، ٢ : ٣٠٧) .

ولكننا لا ندري : لم فات المؤرخين أن يأخذوا ذلك عن لسان « أبي محمد » حين فاتهم أن يأخذوه عن لسان غيره ، ولقد كان بينهم ملء العين والسمع .
والمؤرخون حين لا يذكرون الشهر الذي ولد فيه ، ويسكتون عنه ، يختلفون على أنفسهم حين يذكرون البلد الذي ولد فيه .

فيذهبُ ابن النديم ، وابن الأثير ، وابن الأنباري : إلى أنه ولد في الكوفة .
لاندري هل تابع ابن الأنباري (٥٧٧ هـ) ابن النديم (٣٢٨ هـ) فيها ، حين سبقه بها ، ثم قفى على أثرهما ابن الأثير (٦٠٦ هـ) ، أو انفرد كل بطريقه ؟ .

وهناك غير هؤلاء من المؤرخين الذين ذكرناهم من يذكرون أن مولده كان ببغداد ، وأسبقهم بهذه الرواية البغدادى (٤٦٢ هـ) ثم السمعاني (٥٦٢ هـ) ، ومن بعدهما القفطى (٦٠٦ هـ) لا يناقشون رواية غيرهم ممن سبقوهم ، بل لا نحس أنهم كانوا على علم بها ، وأنهم كان لهم طريقهم الخاص .

وجلى أن هذه الإقامة في « بغداد » قد تكون هي التي أوحى إلى من قالوا بأن مولده بها أن يقولوه ، وجلى أن من قالوا بأن مولده الكوفة ، وهم يعلمون إقامته ببغداد ، كانوا بمعزل عن هذا الإيحاء ، وملكوا شيئاً خرجوا به عما يكاد يكون متفقاً عليه ، يساندهم على ذلك أن أباه ليس ببغداديا ، وأن الأسرة كانت غريبة على بغداد .

وكما كان الاختلاف في البلد الذي ولد فيه ابن قتيبة ، كان الاختلاف في السنة التي مات فيها .

يروى ابن الأنباري (٣٢٨ هـ) عن ابن المنادى ، عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد ابن أبوب بن بشير الصائغ : أن ابن قتيبة أكل هريسة ، فأصاب حرارة ، فصاح

صبيحة شديدة ، ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ .
فما زال يتشهد إلى وقت السحر ثم مات . وذلك أول ليلة من رجب سنة ست
وسبعين ومائتين .

ويتابع ابن الأنباري على هذا جملة من المؤرخين .

ويروى الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) يقول : قرأت على الحسن بن أبي بكر ،
عن أحمد بن كامل القاضي ، قال :

ومات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في ذي القعدة سنة سبعين ومائتين .
والخطيب البغدادي الذي ذكر هذا الخبر بسنده ، يذكر بعده الخبر الأول الذي
ساقه ابن الأنباري بسنده ، ولكنه لا يرجح خبراً على خبر .

ويجىء ابن خلكان (٦٨١ هـ) فيزيد على هاتين الروايتين رواية فيقول :
توفي في ذي القعدة سنة سبعين ، وقيل : سنة إحدى وسبعين . وقيل : أول ليلة من
رجب سنة ست وسبعين ومائتين . ثم يزيد حاكماً : والأخيرة أصح الأقوال .
ولكننا نملك دليلاً يركى ابن خلكان في ترجيحه :

وهو أن قاسم بن أصبغ الأندلسي (٢٤٧ — ٣٤٠ هـ) وهو ممن أخذ عن
ابن قتيبة ببغداد ، كانت رحلته إلى المشرق سنة ٢٧٤ هـ .

ولكن مؤرخاً متأخراً ، وهو : الألوסי نعمان بن محمود بن عبد الله (١٣١٧ هـ)
يقول في كتابه : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٢٣٦) : « وقال أبو محمد
عبد الله بن قتيبة المتوفى سنة ٢٦١ هـ » .

ولا ندرى دليل الألوסי على ما قال ، وأغلب الظن أنها زلة طباعة .

نسبته الى الدينور :

والدينور — كما تعلم — مدينة من أعمال الجبل . قرب قرميسين ، وبينها وبين همدان نيف وعشرون فرسخا . وكان أبو محمد نرح إليها ليلي فيها القضاء ، وأقام بها مدة فنُسب إليها ، ولكن لمن ولى أبو محمد القضاء ؟

نعرف أن أبا محمد كان موصولا بالوزير : أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٢٦٣هـ) ، وأنه صنف له كتابه « أدب الكاتب » ، وذكر هذا الوزير في الخطبة وأثنى عليه ، إذ يقول : « فالحمد لله الذى أعان الوزير أبا الحسن أيداه الله » . ويقول أبو القاسم الزجاجي ، وهو يشرح خطبة « أدب الكاتب » : « يعنى : الخاقاني ، وهو عبيد الله بن يحيى الخاقاني ، لأنه عمل له هذا الكتاب فأحسن صلته وأصطنعه وصرفه » .

ويقول ابن السيد البطليوسي في « الاقتضاب » : « يعنى عبيد الله بن يحيى ابن خاقان . وكان وزير المتوكل ، حتى صرفه في بعض أعماله » . وقول « ابن السيد » يدلنا على أن اصطناع الخاقاني لابن قتيبة كان وهو وزير المتوكل إلى سنة (٢٣٧هـ) ، ولم يكن وهو وزير المعتمد ، من سنة (٢٥٦هـ) إلى سنة (٢٧٩هـ) .

ولم يكن هذا الاصطناع الذى حباه به الخاقاني إلا ولاية قضاء الدينور . وقد بويغ المتوكل بالخلافة سنة (٢٣٢هـ) ، وكان مقتله سنة (٢٤٧هـ) . وبين هاتين الصنتين كانت ولاية « ابن قتيبة » لقضاء الدينور . لا نعرف في أية سنة بدأت ، ولكننا نيسل إلى أنها بقيت ببقاء الخاقاني في الوزارة ، أى إلى سنة (٢٤٧هـ) .

وبعدها عاد « ابن قتيبة » إلى بغداد كما كان . وبهذه الإقامة في « الدينور »
نسب ابن قتيبة إليها قليل : الدينوري .
نشأته وشيوخه :

وفي « بغداد » نشأ ، يستوى في ذلك أن يكون مولده بها أو بالكوفة ، فإن كانت
الأولى فليس ما يدفعها ، وإن كانت الثانية فما نظنه أبعد عن بغداد كثيرا ، وأنه
لا شك كان بها وهو في سن التلقى . فسيمتر بك أنه حدث عن « الهيثمي » وهو
في الثامنة عشرة من عمره . يدل ذلك قول البغدادي : « وسكن بغداد وحدث
بها عن ... » . ثم ذكر شيوخه . ولم يذكر له شيوخا ربط الحديث عنهم بغير بغداد .
وشيوخ ابن قتيبة الذين نريد أن نعرفك بهم ، والذين ورد ذكرهم في المراجع
المختلفة ، هم :

(١) والده : مسلم بن قتيبة ، كما قدمنا ، يحدث عنه مرات في كتابيه : عيون
الأخبار^(١) ، والمعارف .

(٢) أحمد بن سعيد الهيثمي ، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام . قرأ عليه :
كتاب الأموال ، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد في سنة (٢٣١ هـ) .
ومعنى هذا أن عمر « ابن قتيبة » كان عندها ثمانية عشر عاما .

(٣) أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي (٢٣١ هـ) صاحب طبقات الشعراء .

(٤) ابن راهويه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم (٢٣٨ هـ) وهو من أئمة الفقه
والحديث . صاحب الشافعي وناظره ، وروى عنه : البخاري ، ومسلم ،

(١) عيون الأخبار (١ : ١٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢١٧) .

وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى . وفيه يقول أحمد بن خليل :
« لا أعرف لإسحاق نظيرا » .

(٥) حرمة بن يحيى التجيبى (٢٤٣ هـ) صاحب الشافعى .

(٦) يحيى بن أكرم القاضى (٢٤٢ هـ) . ويقال : إن ابن قتيبة أخذ عنه بمكة .
ولعل ذلك كان فى حجة له .

(٧) المروزى أبو عبد الله الحسن بن الحسين بن حرب السامى (٢٤٦ هـ) .

(٨) دعل بن على الخزاعى ، الشاعر (٢٤٦ هـ) .

(٩) أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلى البصرى
(٢٤٨ هـ) .

(١٠) الزيادى أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان (٢٤٩ هـ) تلميذ : سيويه ، والأصمعى ،
وأبى عبيدة .

(١١) أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (٢٤٨ هـ — أو ٢٥٥ هـ) .

قال الأزهري فى مقدمة التهذيب (ص ١١) : وقد جالسه : شمر ،
وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ووثقاء .

(١٢) محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادى البصرى (٢٥٢ هـ)

(١٣) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلى البصرى (٢٥٣ هـ) .

(١٤) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبى حزم القطامى البصرى (٢٥٣ هـ) .

(١٥) أبو الخطاب زياد بن يحيى بن زياد الحسانى البصرى (٢٥٤ هـ) .

(١٦) شبابة بن سوار (٢٥٤ هـ) .

- (١٧) أبو عثمان الجاحظ (٢٥٤ هـ) . وفي ذلك يقول ابن قتيبة في كتابه « عيون الأخبار » : « وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه ^(١) . قال ... » .
- (١٨) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد البصري (٢٥٧ هـ) .
- (١٩) أبو طالب زيد بن أنزم الطائي البصري (٢٥٧ هـ) .
- (٢٠) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي ، تلميذ الأصمعي (٢٥٧ هـ) .
- (٢١) أبو سهل الصقفار عبدة بن عبد الله الخزاعي (٢٥٨ هـ) .
- (٢٢) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي (٢٦٠ هـ) .
- (٢٣) أبو بكر محمد بن خالد بن خدّاش بن عجلان المهلب .
- (٢٤) أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير .
- قال الأزهري في مقدمة التهذيب (ص ١١) : « وقدم عليه ابن قتيبة فأخذ عنه » .

- (٢٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ، ابن أخي الأصمعي .
- (٢٦) محمد بن عبيد بن عبد الملك الأسدي ، أبو عبد الله الهمداني .

تميزه :

ومن جلسوا إلى ابن قتيبة يأخذون العلم عنه :

- (١) ابنه أحمد . ويترجم له عياض في كتابه « المدارك » فيقول : أبو جعفر ابن قتيبة ، هو أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري البغدادي النشأة ، كان مالكي المذهب من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه ، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن .

(١) عيون الأخبار (٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩)

ويرد فيها من حفظه النقطة والشكلة، وما معه نسخة . كان أبوه محمد حفظه إياها في اللوح، وعدتها أحد وعشرون مصنفاً، وهى : كتاب المشكل، معانى القرآن، غريب الحديث، عيون الأخبار، مختلف الحديث، التفسير، الفقه، المعارف، أعلام النبوة، العرب والعجم، الأنواء، طبقات الشعراء، معانى الشعر، إصلاح الغلط، أدب الكاتب، الأبنية، النحو، المسائل، القراءات . سمع منه خلق عظيم ... ولى قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ... وتوفى في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين بمصر بعد صرفه . وكانت ولايته القضاء بمصر ثلاثة أشهر .

وقد قرأ على أبى جعفر أحمد أبو على القالى (٣٥٦ هـ) كتاب عيون الأخبار، وكتاب أدب الكاتب . كما قرأ عليه الأمدى أبو القاسم (٣٧٠ هـ) كتب أبيه كلها . كما قرأ على أبى جعفر أحمد أيضاً : أبو الفتح محمد بن جعفر المراغى ، وأبو القاسم عبد الرحمن الزجاجى، شارح خطبة أدب الكاتب .

ويذكر البغدادى في كتابه « تاريخ بغداد »^(١) أنبأ لأبى جعفر أحمد، اسمه : عبد الواحد ، فيقول : يكنى عبد الواحد : أبا أحمد . ذكر أنه ولد ببغداد في سنة سبعين ومائتين . وانتقل إلى مصر فسكنها وروى بها عن أبيه ، عن جده، كتبه .

(٢) أحمد بن مروان المالكي (٢٩٨ هـ) . ومما رواه عن ابن قتيبة :

كتاب : تأويل مختلف الحديث . وقد انتهى إلينا بروايته .

(٣) أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان (٣٠٩ هـ) .

(١) تاريخ بغداد (١١ : ٨) .

- (٤) أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ (٣١٣ هـ) . وقد روى عن ابن قتيبة كل مصنفاته .
- (٥) أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكري (٣٢٣ هـ) . وقد سمع عنه : غريب الحديث ، وإصلاح الغلط سنة (٢٦٨ هـ) .
- وقد انتهى إلينا بروايته عنه كتاب : المسائل والأجوبة ، وإصلاح الغلط .
- (٦) أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكر التيمي (٣٣٤ هـ) .
- (٧) الهيثم بن كليب الشاشي (٣٣٥ هـ) وقد أخذ عنه الأدب خاصة .
- (٨) قاسم بن أصبغ الأندلسي (٣٤٠ هـ) الذي كانت رحلته إلى المشرق سنة (٢٧٤ هـ) . وقد قرأ عليه : المعارف ، وشرح غريب الحديث .
- (٩) عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوي (٣٣٥ هـ) . وقد انتهى إلينا من روايته عنه : كتاب الأشربة .
- (١٠) أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزدي (٣٤٨ هـ) .
- (١٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينوري . وقد قرأ عليه : تأويل مختلف الحديث .
- (١٢) أبو عبد الله بن أبي الأسود (٣٤٣ هـ) .
- (١٣) أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادى (٢٩٨ هـ) .



* مؤلفه :

وبعد الحديث عن شيوخ ابن قتيبة وعن تلاميذه — وهم كما رأيت كثرة هنا وهناك، مما يدل على رغبة منه في الأخذ عن غيره، ورغبة إليه في الأخذ عنه —

ننتقل بك إلى الحديث عن مؤلفاته ، وسوف نرجئ الحديث عن كتابه « المعارف »
لنفرد له وحده بكلمة خاصة ، بعد الفراغ من الحديث عن « ابن قتيبة » .

(١) غريب القرآن :

هكذا ذكره ابن خلكان ، والخطيب ، والداودي ، والسيوطي ، وابن كثير ،
وابن الأنباري ، والقفطي ، وابن العماد الحنبلي ، وحاجي خليفة .

ومنه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق . رقمها ٣٣ لنة .

غير أن المجلة السلفية^(١) عرضت لوصف نسخة أخرى منه في مكتبة المرحوم
الشيخ عثمان القارئ بالطائف ، وهي تحمل مع العنوان السالف زيادة ، وهو فيها
« كتاب غريب تفسير القرآن » . والعنوان الأول بنهج المؤلف في وضع أسماء
كتبه أوفق وأنسب .

فمن قبل « غريب القرآن » ألف كتابه « مشكل القرآن »^(٢) والعنوانان يكاد
أولهما يملئ الآخر . هذا إلى أن ابن قتيبة يقول في كتابه : مشكل القرآن (ص ٢٥) :
وأوردت للغريب كتابا كي لا يطول هذا الكتاب — يعني : مشكل القرآن .

فهو بهذه العبارة قد سمي كتابه بما لا يحتمل تلك الزيادة التي تحملها نسخة الطائف .
غير أن « ابن قتيبة » يعود فيقول في مقدمته لكتاب « غريب القرآن » : « ثم بتدئ
في تاسير غريب القرآن دون تأويل مشكله ، إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابا جامعا
كانيا بحمد الله »^(٣) .

(١) المجلة الثاني ص ٨

(٢) طبعة « دار إحياء الكتب العربية » بتحقيق الأستاذ سيد صقر .

(٣) طبعة « دار إحياء الكتب العربية » بتحقيق الأستاذ سيد صقر

ويقول ابن قتيبة في كتابه «الأنواء» : وهذا قد بينت فسادَه في كتابي المؤلف في تأويل مشكل القرآن^(١) .

فيحمل هذا بعض المتصلين بأعمال «ابن قتيبة» على أن يضيف إلى اسمي الكتابين هاتين الزياتين . ومخطوطة «المشكل» تحمل في صفحتها الأولى هذه العبارة : «الجزء الأول من مشكل القرآن» وتحمل في صفحتها الأخيرة هذه العبارة : «ثم كتاب مشكل القرآن» .

ولم يحمل كتاب «غريب القرآن» المطبوع صفحات مصدرة من مخطوطيه ، تدلنا على ما دللنا عليه الصفحات المخطوطة من كتاب «مشكل القرآن» .

(٢) مشكل القرآن :

وهذا الكتاب كما قدمت لك ، طبعته كما طبعت ما قبله دار إحياء الكتب العربية ، بتحقيق الأستاذ سيد صقر .

وقد جمع بين هذين الكتابين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكنانى (٣٥٤ هـ) في كتاب أسماه : «القرطين» ينقص منها ويزيد .

وغير هذا فلائبى القاسم العكبرى عبد الله بن محمد (٥١٦ هـ) كتاب حول كتاب «مشكل القرآن» «أسماء : الانتصار لحمزة فيما نسب إليه ابن قتيبة في مشكل القرآن» ذكره صاحب كشف الظنون .

واسم كتاب العكبرى — كما ترى — يوحى بأن تمّ مأخذ يحصيها «العكبرى» على ابن قتيبة ، وأن هذه المأخذ تشين ابن قتيبة في أذعائه على «حمزة» أشياء .

(١) ص ٩ من مخطوطة الخزائن الزكية .

(٣) معاني القرآن :

ذكره السيوطي في : « البغية » والداودي في « طبقات المفسرين » وعياض في ترجمة آبنه « أحمد » . أعنى : أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن قتيبة ، وقال : قرأه عليه قاسم بن أصبغ (٣٥٠ هـ) .

وأكد أشك أن هذا كتاب جديد، وأنه شيء آخر غير كتابيه السابقين - . شكل القرآن، وغريبه - . ويكاد يكون هو « غريب القرآن » فالغريب كشف عن المعاني والمعاني إيضاح للغريب ، والفرض من الاسمين واحد . فبعيد أن يكون معهما كتابان .

(٤) القراءات :

ذكره ابن النديم في « الفهرست » ، كما ذكره المؤلف في كتابه « مشكل القرآن » (ص ٤٥) حيث يقول : « وستراه كله في كتابنا المؤلف في وجوه القراءات » . ولا ندرى هل الكلمة الأولى المزيده على لسان ابن قتيبة جزء من العنوان ، أم هي لون من ألوان التفسير لموضوع الكتاب ؟

(٥) إعراب القراءات :

هكذا سماه ابن خلكان ، والفقطي . ويذكره ابن النديم ، والسيوطي ، والداودي باسم « إعراب القرآن » . وتكاد ترجع ماذهب إليه ابن النديم ، والسيوطي ، والداودي . فلو أن « ابن قتيبة » أراد ما ذكره ابن خلكان ، والفقطي ، لاتسع له كتابه السابق « القراءات » أو « وجوه القراءات » .

(٦) الرد على القائل بخلق القرآن :

ذكره السيوطي في « البغية » ، والداودي في « طبقات المفسرين » .

(٧) آداب القراءة .

ذكره صاحب كشف الظنون ، ولا ندرى أين وقع عليه .

(٨) غريب الحديث :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والخطيب ، والداودي ، والسيوطي ،
وابن كثير ، وابن الأنباري ، والقفطي ، وابن العماد .

ومن الكتاب قطعة تنظم الثلث الأول والثلث الأخير . تحتفظ بها الخزانة
الظاهرية بدمشق ^(١) .

يقول صاحب كشف الظنون : « هذا فيه حذو أبي عبيد القاسم بن سلام ،
بغناء كتاب ابن قتيبة . مثل كتابه أو أكبر . وقال في مقدمته : أرجو ألا يكون بقي
بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال » .

(٩) إصلاح غلط أبي عبيدة :

ذكره بهذا الاسم : الداودي ، والسيوطي .

وذكره ابن النديم باسم : إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث .

وذكره ابن خلكان ، والقفطي ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ،
وابن العماد باسم : إصلاح الغلط .

وقد ذكر حاجي خليفة أن عليه شرحاً لأبي المظفر محمد بن آدم بن كمال الهروي
(٤١٤ هـ) . وقد استدرك فيه ابن قتيبة على أبي عبيدة في نيف وخمسين موضعاً .

(١) رقم ٣٤ ، ٣٥ لفة .

(٦٠) مشكل الحديث :

ذكره ابن خلكان ، والخطيب ، والسمعاني ، وابن الأنباري ، والقفطي ،
وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وابن العماد .

ويذكر ابن النديم كتابا لابن قتيبة بأسم «المشكل» . ولاندرى أهو : مشكل
الحديث هذا، أم هو مشكل القرآن؟ وأغلب الظن أن ابن قتيبة إذا ذكر «المشكل»
ولم يصف إليه أراد : مشكل القرآن .

ثم يستطرد ابن النديم ويذكر كتابين آخرين في هذا الغرض وهما :

(١) مختلف الحديث .

(٢) اختلاف تأويل الحديث .

ويذكره الداودي ، والسيوطي ، بأسم : مختلف الحديث .

ويورده حاجي خليفة بأسم : اختلاف الحديث ، وبأسم : كتاب المناقضة .

وبدار الكتب المصرية نسخة منه بأسم : الرد على من قال بتناقض الحديث .

ويسميا م فهرس دار الكتب بأسم : المشتبه من الحديث والقرآن ، وذكر

الأحاديث التي قيل بتناقضها .

ويذكره «جورجي زيدان» في تاريخ الآداب العربية بأسم : المشتبه من

الحديث والقرآن .

وقد ظهر هذا الكتاب مطبوعا بالقاهرة (١٣٢٦ هـ) . بأسم : تأويل مختلف

الحديث .

وظاهر أن هذه الأسماء كلها لكتاب واحد .

(١١) المسائل والأجوبة :

ذكره الداودي ، والسيوطي ، بهذا الاسم .

وذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطي ، وصاحب طبقات فقهاء السادة

الحنفية ، بأسم : المسائل والجوابات .

ومنه نسخة بدار الكتب المصرية^(١) ، وعنوانها : كتاب المسائل .

وقد طبع في مصر (١٣٤٩ هـ) يحمل عنوانا : المسائل والأجوبة في الحديث

واللغة .

ولعل هذه الإضافة اجتهاد من الناشر ، إذ موضوع الكتاب أسئلة وجهت

إلى ابن قتيبة في الحديث واللغة ، فأجاب عنها .

(١٢) دلائل النبوة :

ذكره ابن النديم ، والداودي ، والسيوطي ، وحاجي خليفة ، بهذا الاسم .

وذكره ابن الأنباري بأسم : دلائل النبوة من الكتب المنزلة على الأنبياء

عليهم السلام .

ويسميه القاضي عياض في « المدارك » : أعلام النبوة .

وبالخرزانة التيمورية بالقاهرة كتاب لابن قتيبة باسم : معجزات النبي صلى الله

عليه وسلم .

وبهذا الاسم ذكره أبو الطيب اللغوي في كتابه « مراتب النحويين » .

(١) ٦ لغة ش .

(١٣) جامع الفقه :

ذكره ابن النديم في « الفهرست » .

وذكره القفطي باسم : كتاب الفقه .

ويذكر ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطي ، وصاحب طبقات فقهاء السادة

الحنفية ، وحاجي خليفة ، كتابا له آخر في هذا الموضوع باسم « كتاب التفقيه » .

ويقول عنه ابن النديم : رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة ، وكانت

تنقص على التقريب جزئين . وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط

فزعموا أنه موجود .

وهو أكبر من كتب البندنجي وأحسن منها .

وظاهر أن الاسمين لكتاب واحد .

(١٤) كتاب الأشربة :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطي ، وصاحب طبقات فقهاء السادة

الحنفية ، وابن العماد ، وحاجي خليفة .

وأشار إليه المؤلف في كتابه الميسر والقداح^(١) .

ونقل عنه ابن عبد ربه في كتابه « العقد الفريد »^(٢) في أكثر موضع .

ونشر أكثره المستشرق أرثوركي في مجلة « المقتبس »^(٣) .

وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد كرد علي سنة (١٩٤٧ م) .

(١) الميسر والقداح طبعة السلفية (ص ٤٣)

(٢) ٢٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢ (طبعة لجنة التأليف) .

(٣) المجلد الثاني (٢٣٤ — ٢٤٨ ، ٣٨٧ — ٣٩٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٦ ، ٥٢٩ ، ٥٣) .

(١٥) الرد على المشبهة :

ذكره ابن النديم، والداودي، والسيوطي، والقفطي .
وظاهر أنه هو هذا الكتاب الذي طبع في مطبعة السعادة سنة (١٣٤٩ هـ)
بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري ، باسم : كتاب الاختلاف في اللفظ
والرد على الجهمية والمشبهة .

(١٦) أدب الكاتب :

ذكره ابن النديم، وابن خلكان، والسمعاني، والطيب في « فريدة النحر » ،
وابن كثير، والقفطي، وابن العماد الحنبلي، بهذا الاسم .
وذكره الخطيب، وابن الأنباري، باسم : أدب الكتاب .
ويذكر هذه التسمية اسم الشرح الذي وضعه ابن السيد البطليوسي (٤٢١ هـ)
عليه وسماه : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب .
وقد تعرض له بالشرح غير « ابن السيد » كثيرون ، منهم : الجواليقي
(٥٣٩ هـ) ، والحدادي (٨ ص ٥٥) ، وإسحاق بن إبراهيم الفارابي (٣٥٠ هـ) .
كما شرح بعضهم خطبته . مثل : الزجاجي (٣٥٠ هـ) ، وابن فائز النحوي
(٣٣٨ هـ) .

وقد طبع الكتاب مرات في مصر وغير مصر .

(١٧) عيون الشعر :

ذكره ابن النديم . وقال : إنه يحتوي على عشرة كتب ، وذكر سبعة منها ، وهي :
كتاب المراتب — كتاب القلائد — كتاب المحاسن — كتاب المشاهد —
كتاب الشواهد — كتاب الجواهر — كتاب المراكب .

ثم ذكر ابن النديم كتابا آخر لابن قتيبة أسماه : المراتب والمناقب من عيون الشعر .

وظاهر أنه كتاب من هذا الكتاب « عيون الشعر » .

(١٨) كتاب المعاني الكبير :

ذكره ابن النديم باسم : معاني الشعر الكبير . وذكر أنه يحتوي على اثني عشر كتابا، وهي :

- (١) كتاب الفرس — ستة عشر بابا .
- (٢) كتاب الإبل — ستة عشر بابا .
- (٣) كتاب الحرب — عشرة أبواب .
- (٤) كتاب القدور — عشرون بابا .
- (٥) كتاب الديار — عشرة أبواب .
- (٦) كتاب الرياح — أحد وثلاثون بابا .
- (٧) كتاب السباع والوحوش — سبعة عشر بابا .
- (٨) كتاب الهوام — أربعة عشر بابا .
- (٩) كتاب الإيمان والدواهي — سبعة أبواب .
- (١٠) كتاب النساء والغزل — باب واحد .
- (١١) كتاب الشيب والكبر — ثمانية أبواب .
- (١٢) كتاب تصحيح العلماء — باب واحد .

وقد أشار إليه ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار»^(١)، حيث يقول: وقد فسرت

هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المعاني في خلق الفرس .

وما أشار إليه موجود في المعاني^(١) .

وفي خزانة أيا صوفيا الجزء الأول من كتاب باسم : المعاني لأبن قتيبة وهذا الجزء في الخليل^(٢) .

وفي خزانة المكتب الهندسي بلندن الجزء الثاني منه ، وأوله : باب الذباب .
وقد طبع ما وجد من هذا الكتاب في الهند (سنة ١٣٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات .
والكتاب الثاني عشر من كتاب المعاني ، وهو « تصحيف العلماء »
لا يزال مفقودا .

وقد ألف ابن المرزبان عبد الله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧هـ) في الرد عليه
كتابا أسماه : الرد على ابن قتيبة في تصحيف العلماء .

(١٩) ديوان الكتاب :

ذكره ابن النديم ، والسيوطي ، وحاجي خليفة .
وأظن أنه كتاب من أحد كتائين : المعاني ، أو عيون الشعر ، فعنوانه لا يوحى
بأنه شيء مستقل — بل هو باب من كتاب .

(٢٠) تقويم اللسان :

ذكره حاجي خليفة .

وذكرته دار الكتب المصرية في فهرسها على أنه الجزء الثاني من كتاب بهذا
الاسم لأبن قتيبة^(٣) . وليس إلا كتابا من كتاب أدب الكاتب ، الذي ينظم أربعة كتب :
كتاب المعرفة — كتاب تقويم اليد — كتاب تقويم اللسان — كتاب الأبنية .

(١) ١ : ١١٠ — ١١٢ طبعة الهند . (٢) رقم ٤٠٥٠ (٣) لفه ٣٣٠

(٢١) خلق الإنسان :

ذكره — ابن النديم ، والداودي ، والسيوطي ، وحاجي خليفة .

(٢٢) كتاب الحيل :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والداودي ، والسيوطي ، والقفطي ، وصاحب

طبقات فقهاء السادة الحنفية ، بهذا الاسم .

وذكره حاجي خليفة بأسم : كتاب الحيل ، بالحاء المهملة والياء المثناة .

(٢٣) كتاب الأنواء :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والداودي ، والسيوطي ، والسمعاني ، والقفطي ،

وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وحاجي خليفة .

وذكره ابن قتيبة في كتابه « المعاني »^(١) ومنه مخطوطه بالخزانة الزكية .

(٢٤) جامع النحو الكبير :

ذكره ابن النديم « والداودي » ، والسيوطي ، والقفطي ، وحاجي خليفة .

(٢٥) جامع النحو الصغير :

ذكره ابن النديم ، والداودي ، والسيوطي ، والقفطي ، وحاجي خليفة .

(٢٦) الميسر والقداح :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطي ، وصاحب طبقات فقهاء السادة

الحنفية ، وحاجي خليفة .

وذكره المؤلف في كتابه « الأنواء^(١) » حيث يقول : « وقد بينت هذا في كتاب الميسر » .

وقد طبع هذا الكتاب بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٢ هـ بتحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب .

(٢٧) فضل العرب على العجم :

ذكره ابن قتيبة في كتابه « عيون الأخبار » حيث يقول : « وقد أفردت للشعراء كتابا ، وللشعر بابا طويلا في كتاب العرب »^(٢) .

ونقل عنه ابن عبد ربه في « العقد الفريد »^(٣) .

ونشرت قطعة منه في « رسائل البلغاء »^(٤) .

ونشر بعضه في « مجلة المقتبس »^(٥) .

وبدار الكتب المصرية نسخة منه في جزءين تنقص من الأول ورقات ، كتب في أول الجزء الثاني منها : « فضل العرب على العجم » ، كما كتب في ختام الجزء الأول منها : « تم كتاب العرب وعلومها » .

ولعل ضياع الصفحة الأولى منه مما جرّ إلى هذا الاضطراب في اسم الكتاب ، فسمى مرة : « فضل العرب على العجم » ، وأخرى : « فضل العرب والتنبيه على علومها » ، وثالثة : « كتاب العرب وعلومها » .

(١) ص ١٠ مخطوطة الخزانة الزكية .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ١٨٥) .

(٣) (٢ : ٨٨) طبعة بلاق .

(٤) (ص ٢٧٩ - ٢٩٥) طبعة سنة ١٣٣١ هـ .

(٥) المجلد الرابع ٦٥٧ - ٦٦٨ ، ٧٢١ ، ٧٣٥ .

ولا يبعد أن يكون كتاب « التسوية بين العرب والعجم » ، الذى ذكره
أبن النديم ، والقفطى ، على أنه كتاب آخر ، هو هذا الكتاب بأسم جديد .

(٢٨) عيون الأخبار :

ذكره أبن النديم ، وأبن خلكان ، والخطيب البغدادى ، والسمعانى ،
وأبن كثير ، وأبن الأنبارى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ،
وأبن العماد . وقد طبعته دار الكتب المصرية سنة (١٣٤٣ هـ) .

(٢٩) طبقات الشعراء :

ذكره أبن خلكان ، والداودى ، والسيوطى ، والقفطى ، وأبن العماد ،
بهذا الاسم .

وذكره « أبن النديم » بأسم : « الشعر والشعراء » .

وقد طبع الكتاب للمرة الأولى فى ليدن سنة (١٨٧٥ م) ، ثم أعيد طبعه فيها
سنة (١٩٠٤ م) ، ثم طبع للمرة الأخيرة فى مصر بتحقيق المرحوم الأستاذ أحمد
محمد شاكر سنة (١٣٦٦ هـ) .

(٣٠) الحكاية والمحكى :

ذكره أبن النديم .

(٣١) فرائد الدرّ :

ذكره أبن النديم .

(٣٢) حكم الأمثال :

ذكره أبن النديم .

(٣٣) آداب العشرة :

ذكره ابن النديم .

(٣٤) كتاب العلم :

ذكره ابن النديم ، والقفطي ، بهذا الاسم . وقال ابن النديم : إنه في نحو خمسين ورقة .

ثم ذكره الداودي ، والسيوطي ، بأسم : « كتاب القلم » .

(٣٥) تعبير الرؤيا :

ذكره ابن النديم ، وأبو الطيب اللغوي ، بهذا الاسم .

وذكره ابن قتيبة في مقدمة « عيون الأخبار » بأسم : « تأويل الرؤيا » .

(٣٦) الجوابات الحاضرة :

ذكره الداودي ، والسيوطي ، وحاجي خليفة .

(٣٧) الجرائم :

لم يذكره أحد لابن قتيبة .

وفي الخزانة الظاهرية بدمشق منه نسخة منسوبة إلى ابن قتيبة^(١) ، غير أن هذا

الأمر يحتاج إلى شيء من الدرس .



وانهم ليعدون لابن قتيبة أسماء لكتب أخرى ، وأكثر الظن أنها ليست كتباً

مستقلة ، بل لأنها أبواب من كتب ، نحو هذا الذي يذكرونه له من أن له ، كتاباً

(١) رقها ٥٩ لغة .

أسمه « استماع الغناء بالألحان » ، معتمدين على ما ذكره حاجى خليفة فى حرف السين حيث يقول : « والعلماء اختلفوا فى استماع الغناء بالألحان ، وهى مسألة طويلة الذيل ، خصها كثير من المتقدمين بالتصنيف ، كالقاضى أبى الطيب ، والعلامة أبى محمد بن قتيبة .

فما نشك فى أن أبى قتيبة كتب فى هذا الموضوع ، ولكن الذى نشك فيه أن يكون له كتاب بهذا الاسم .

وقد أشرنا قبل إلى شىء من هذا التكرار ، مثل كتاب « الفرس » الذى ذكره القفطى ، وهو من معانى الشعر ، وكتاب « تقويم اللسان » الذى ذكره حاجى خليفة وهو من « أدب الكاتب » ، وكتاب « المراتب والمناقب » الذى ذكره أبى النديم وهو من « عيون الشعر » ، وكتاب « الأبنية » الذى ذكره القاضى عياض ، وهو من « أدب الكاتب » .

ولعل الدافع الذى دفع هؤلاء إلى هذا التوسع فى الجمع شىء من الجهل بمحتويات كتب أبى قتيبة ، وذلك لأنهم عرفوا أكثرها بالسماع .

وشىء آخر ، هو ما قرأوه وسمعوه من بعض المؤرخين ، مثل صاحب « التحديث بمناقب أهل الحديث » حين يذكر أن كتب أبى قتيبة زهاء ثلثمائة كتاب ، فيدفعهم هذا إلى التصيد والتحليل .

وما أشك فى أن الذى قصد إليه صاحب « التحديث » هو هذه الأبواب التى احتوت عليها كتب أبى قتيبة ، يعد كل باب كتابا ، وإلا اهتمناه بما نرى منه كل متصل بالعلم والتأليف .

وما أميلنا إلى أن نأخذ بما سبق في «المدارك» ، حين تحدث عن أبي جعفر أحمد ، وأنه كان يحفظ مصنفات أبيه ، وعدتها أحد وعشرون مصنفًا ، وما هذا العدد بقليل على عالم من العلماء ، عُمر مثل ما عمر ابن قتيبة ، لاسيما والمؤلفات من المؤلفات ذات الأجزاء .



بقي بعد هذا كتاب شاعت نسبته إلى ابن قتيبة ، وليس له ، وهو : كتاب الإمامة والسياسة .

والأدلة على بطلان نسبة هذا الكتاب إلى ابن قتيبة كثيرة ، منها :

- (١) أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا هذا الكتاب بين ما ذكروه له . اللهم إلا القاضي أبا عبد الله التوزي المعروف بابن الشباط . فقد نقل عنه في الفصل الثاني من الباب الرابع والثلاثين من كتابه «صلة السمط» .
- (٢) أن الكتاب يذكر أن مؤلفه كان بدمشق ، وابن قتيبة لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور .
- (٣) أن الكتاب يروى عن أبي ليلى ، وأبو ليلى كان قاضياً بالكوفة سنة (١٤٨ هـ) أى قبل مولد ابن قتيبة بخمس وستين سنة .
- (٤) لأن المؤلف نقل خبر فتح الأندلس عن امرأة شهدت . وفتح الأندلس كان قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة .
- (٥) أن مؤلف الكتاب يذكر فتح موسى بن نصير لمراكش ، مع أن هذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين سنة ٤٥٥ هـ ، وابن قتيبة توفي سنة (٢٧٦ هـ) .

كما نسبت إليه أيضا وصية إلى ولده، نشرها الدكتور إسحاق موسى الحسيني في مجلة الجامعة الأمريكية ببيروت، عن مجموعة خطية محفوظة بمكتبة تلك الجامعة. وإن أسلوبها ليكاد يوحى بأنها لغير ابن قتيبة.



وما من شك في أن النظر في كتب ابن قتيبة، وأستقصائها ثم استصفائها، لموضوع جدير بأن يُفرد له بحث مستقل، وما هو بالقليل.

غير أن الذي يعيننا بما سقناه من مؤلفات ابن قتيبة هو أن ندال لك، على أن تلك البيئة التي بسطنا لك أمرها، شغلت ابن قتيبة بها ولم يكدها بقلته ركن لم يشارك فيه.

شارك في محنة خلق القرآن وكان له فيها رأى، وشارك في فتنة المشبهة والمجسمة، وكان له فيها رأى، وشارك في الخلاف النحوى بين البصرة والكوفة، وجعل بينهما مدرسة ثالثة في بغداد، وكان هو زعيمها؛ وشارك في تفضيل العرب على العجم، حين رأى الشعوبية تزداد وتنتشر. ورأى العصر عصر المسام ومشاركة في كل العلوم فكان إماما من هؤلاء الأئمة المشاركين.



ولنأخذ قبل أن نمضى إلى كتاب « المعارف » نفرد به بكلمة مستقلة، نسوق إليك جملة من رأى العلماء عن ابن قتيبة.

أما عن عقيدته فقد وثقه فيها قوم وآتهم فيها آخرون، يجعله « ابن تيمية » لأهل السنة مثل الجاحظ لأهل المعتزلة^(١).

(١) تفسير سورة الإخلاص (٩٥).

ويقول فيه الحافظ السلفي (٥٧٦ هـ) : « كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة » .

ويقول الخطيب البغدادي : « وكان — يعني ابن قتيبة — ثقة دينا فاضلا » .

ويقول ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦ هـ) : « كان ابن قتيبة ثقة في دينه وعلمه » .

ويقول الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » : « أبو محمد صاحب التصانيف ، صدوق قليل الرواية » .

ويقول في « تذكرة الحفاظ » : « ابن قتيبة من أوعية العلم ، لكنه قليل العمل في الحديث » .

ويقول ابن الجوزي : « كان عالما فاضلا » .

ويقول ابن خلكان : « كان فاضلا ثقة » .

ويقول مسلم بن قاسم : « كان ابن قتيبة صدوقا من أهل السنة » .

وغير هؤلاء من العلماء يهتمونه ويقولون فيه غير ما يقول هؤلاء .

يقول الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي (٣٨٥ هـ) :

« كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه ، منحرفا عن العترة ، وكلامه يدل عليه » .

ويقول البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨ هـ) : « كان ابن قتيبة يرى رأى

الكرامية . وليس بين المشبهة والكرامية كبير فرق . فالكرامية هم أتباع محمد بن كرام .

وكان يذهب إلى التجسيم والتشبيه ، وينعى علي « علي » صبره على ما جرى لعثمان » .



ولقد نسي هؤلاء أن هذا المتهم بالتشبيه له كتاب في الرد على المشبهة، وأن له في هذا الكتاب عبارات تدل على ميله إلى « على » ^(١) وآله ، ونسوا أيضا أن له كتابا في تفضيل العرب . ولكن كيف لهؤلاء المتهمين يتهمونهم دون دليل ؟

في الحق إن لأبن قتيبة من الكلام في كتبه ما يثير شيئا من الريبة، أقرأ له قوله في كتابه « مشكل القرآن » ^(٢) : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم، وهم مصابيح الأرض، وقادة الأنعام ومنتهى العلم، إنما يقرأ الرجل فيهم السورتين والثلاث والأربع، والبعض والشطرنج من القرآن، إلا نفرًا منهم وفقهم الله لجمعه وسهل عليهم حفظه . قال الشعبي : توفي أبو بكر وعمر وعلى رحمهم الله ولم يجمعوا القرآن . وقال : لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان . وروى عن شريك عن إسماعيل بن أبي خالد أنه قال : سمعت الشعبي يحلف بالله عز وجل : لقد دخل « على » حفرة وما حفظ القرآن » .

نظن أن هذا من كلام ابن قتيبة هو الذي أنار تلك النائرة حوله ، فأنبى له من أنبرى يتهمونهم .

أسمع لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) يقول في كتابه « الصحاح » ^(٣) تعقيبا على هذا الذي ذكره ابن قتيبة : « وأبن قتيبة يطلق إطلاقا منكرا، ويروى أشياء مشنعة ، كالذي رواه عن الشعبي أن أبا بكر وعمر وعليًا توفوا ولم يجمعوا القرآن، وأن عليا دخل حفرة وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جدا » .

(٢) ص ١٨١

(١) الرد على الجهمية والمشبهة (ص ٤٧) .

(٣) ص ١٧٠



وَأَبْن قَتِيْبَةُ الَّذِي يَنْقُلُ هَذَا رَاوِيَا ، يَذْكُرْ غَيْرِهِ مَدَانِعَا عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، مِمَّا
يَعْبُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَمَعْتَقَدِهِ ، وَفَرَقَ بَيْنَ أَنْ يَزِلَّ الْعَالَمُ وَهُوَ يَرُودُ لِيَنْصِفَ التَّارِيخَ ، وَبَيْنَ
أَنْ يَزِلَّ وَهُوَ يَفْصَحُ عَمَّا يَعْتَقِدُ . فَأَبْن قَتِيْبَةُ إِنْ زَلَّ رَاوِيَا فَلَمْ يَزِلَّ مَعْتَقِدَا .
أَسْمِعْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ « الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ »^(١) : « وَجَعَلُوا أَبْنَهُ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ خَارِجِيًّا شَاقًّا لِعَصَا الْمُسْلِمِينَ حَلَالِ الدَّمِ . وَسَوَّوْا بَيْنَهُ فِي الْفَضْلِ وَبَيْنَ
أَهْلِ الشُّوْرَى فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ . . . : أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى .
وَأَبُو سَبْطِيْهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْكِسَاءِ : عَلَى وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ .
تَمَعَّرَتْ الْوُجُوهُ وَتَنَكَّرَتْ الْعَيُونُ » .

فَهَذَا الْقَوْلُ مِمَّا يَنْصِفُ أَبْن قَتِيْبَةَ لَا شَكَّ ، وَلَيْسَ فِي الْأَوَّلَى عَلَيْهِ حَرْجٌ .



وَأَمَّا عَنْ عِلْمِهِ ، فَلَمْ يَعدِمِ « أَبْن قَتِيْبَةُ » فِيهِ الطَّاعَنُ إِلَى جَانِبِ الْمُنْصِفِ :
أَمَّا عَنْ الَّذِينَ أَنْصَفُوهُ هُنَا ، فَيَكَادُونَ يَكُونُونَ هُمُ الَّذِينَ أَنْصَفُوهُ هُنَاكَ ، عِنْدَ
الْحَدِيثِ عَنْ مَعْتَقَدِهِ ، وَتَكَادُ تَكُونُ كَلِمَاتُهُمْ هُنَاكَ هِيَ كَلِمَاتُهُمْ هُنَا .
وَأَمَّا عَنْ الَّذِينَ أَتَهَمُوهُ فِي عِلْمِهِ ، فَإِنَّا نَجِدُهُمْ نَفَرًا آخَرِينَ ، وَلَعَلَّ أَقْدَمَ مِنْ أَنْكَرِ
عَلَى أَبْن قَتِيْبَةَ عِلْمِهِ ، هُوَ أَبْن الْأَنْبَارِيُّ (٢٣٨هـ) . نَجِدُ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ أَبْن تَيْمِيَّةٍ حِينَ
يَقُولُ^(٢) : « وَأَبْن الْأَنْبَارِيُّ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ كَلَامًا فِي مَعَانِي الْأَمْرِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، يَذْكُرُ
فِيهَا مِنَ الْأَقْوَالِ مَا لَمْ يَنْقُلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ ، وَيَحْتِجُّ لِمَا يَقُولُهُ فِي الْقُرْآنِ
بِالشَّاذِّ مِنَ اللَّغَةِ » . وَقَصْدُهُ بِذَلِكَ الْإِنْكَارَ عَلَى أَبْن قَتِيْبَةَ .

ومن بعد ابن الأنباري : أبو الطيب (٣٥١ هـ) ، إذ يقول في كتابه مراتب النحويين ^(١) : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أخذ عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن أخى الأصمعي .

وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشناداني ، إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات . وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتاب في تعبير الرؤيا ، وكتاب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف ، والشعراء ، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له » .

وغير ابن الأنباري وأبي الطيب نجد : الحاكم أبا عبد الله محمد النيسابوري (٤٠٥ هـ) الذي يقول : « أجمعت الأمة على أن الفتية كذاب » .

كما نجد « ابن تغريدي » ^(٢) يروي (٨٧٤ هـ) « وكان ابن قتيبة خبيث اللسان يقع في حق كبار العلماء » .



وكلام الذين تنقصوا ابن قتيبة كله لا يخرج عن هذين الشقين ، شق فيه المآخذ العلمية ، وشق معه السب والتشهير .

وما نشك في أن هذه الرغبة الطامحة من ابن قتيبة ، التي دفعته إلى أن يتزل في ميادين مختلفة ، حملته تبعات لم يستطع أن ينهض بها كلها على سواء ، وربما اضطرت به إلى شيء من الجمع الذي يفقد الإنسان معه التحري والتثبت ، وهذا مما مكن لخصوم الشق الثاني من أن يتهموه بالكذب ونحوه .



(١) مراتب النحويين (ص ١٣٧) . (٢) النجوم الزاهرة (٣ : ٧٥) .

٣ — كتاب المعارف

هذا كتاب من كتب ابن قتيبة المعروفة ، ذكرته له جمهرة كبيرة من المؤرخين الذين ترجموا له ، وما في نهج المترجمين أن يذكروا الكتب كلها ، وإنما هم يقفون عند ما يصلهم علمه ، أو يقفون له على أثر . وفي إجماع جملة منهم على شيء دليل على ذبوعه ، ثم دليل على قدر هذا الشيء ، إن صح هذا الظن .

وكتاب « المعارف » هذا : ذكره له ابن النديم (٣٨٥ هـ) في « الفهرست » والخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) في كتابه « تاريخ بغداد » ، والسمعاني (٥٦٢ هـ) في كتابه « الأنساب » ، وابن الانباري (٥٧٧ هـ) في كتابه « نزهة الألبا » ، والقفطي (٦٤٦ هـ) في كتابه « إنباه الرواة » ، وابن خلكان (٦٨١ هـ) في كتابه « وفيات الأعيان » ، وابن كثير (٧٧٤ هـ) في كتابه « البداية والنهاية » ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، والطيب (٥٩٢ هـ) في كتابه « قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر » ، وابن العماد (١٠٣٢ هـ) في كتابه « شذرات الذهب » ، وحاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » .

كلهم مجمع على أن اسمه « المعارف » . يزيد عليهم حاجي خليفة فيقول : « المعارف في التاريخ » ولهذه الزيادة صدى ، فقدما نسب بعض الناس إلى ابن قتيبة كتابا في التاريخ .

يقول المسعودي ^(١) ، وينقل عنه هذا حاجي خليفة وهو يتحدث عن تاريخ لأبي حنيفة الدينوري ٢٨٢ هـ . ^(٢) « قال المسعودي : هو كبير ، أخذ ابن قتيبة ما ذكر وجعله عن نفسه » .

(٢) كشف الظنون (١ : ٢٨) .

(١) مروج الذهب (٢ : ٤٤٢) .

وجاء فهرست الخزانة الظاهرية بدمشق يؤكد هذا، فقد ذكر (برقم ٨٠ تاريخ) كتاباً باسم : تاريخ ابن قتيبة .

وظل الناس في شك من هذا حتى أتيت فرصة للأستاذ إسحاق الحسيني ، وهو يضع بحثه ، أن يرى النسخة ويدرسها ، فيتضح له أنها كتاب المعارف نفسه ^(١) . ولعل سابقاً قرأها فعرّف أنها شيء في التاريخ ، وأنها لابن قتيبة ، فعنونها بهذا الاسم .



ولعل ابن قتيبة أول من سمي كتاباً بهذا الاسم — أعني : المعارف — فما نعلمه لمتقدم سبق ابن قتيبة ، ولكنا نعلمه لمتأخرين جاءوا بعده ، فأبو الفتح ناصر بن محمد (٤٤٤ هـ) له كتاب بهذا الاسم ، وللغزالي أبي حامد محمد بن محمد (٥٠٥ هـ) كتاب : المعارف الفعلية ، ولمحمد بن عبد الملك الهمداني (٥٢١ هـ) أيضاً كتاب : المعارف في التاريخ ^(٢) ، ولأبي الغنائم سعيد بن سليمان الكوفي (٦١٦ هـ) كتاب اسمه : معارف القلوب بذكر كشف الغيوب . وللإمام النقشبندی أحمد بن عبد الأحد (١٠٣٤ هـ) كتاب اسمه : المعارف الدينية .



والقصد من هذه التسمية ألوان مختلفة من المعرفة ، وضمها بعضها إلى بعض ، قد تنسق ويصل بعضها ببعض رابطاً ما ، وقد تختلف وحسبها أن اسم المعارف يجمعها . غير أن ابن قتيبة ، وإن كان السابق في ابتداء هذا الاسم وجعله عنواناً للكتاب ، فقد كان مسبوقاً في هذا اللون من التأليف ، فلوكيع القاضي محمد بن خلف كتاب

(١) The life and works of Ibn Kutayba P. 63.

(٢) وفیات الأعيان لابن خلكان .

(١١)
الشریف، یجرى « المعارف » لابن قتیبة مجراه. ووكیع من شیوخ ابن قتیبة، حدث عنه وروی فی كتابه « عیون الأخبار » فی أكثر من موضع (٢)
ولمحمد بن حبيب البغدادی (٢٤٥ هـ) كتاب اسمه : المحبر، يكاد يتفق كثرة من أبوابه مع أبواب كتاب « المعارف » وإن اختلفا في السرد . حتى لقد قيل : إن ابن قتیبة نقل كتابه « المعارف » منه . ففي مقدمة « الفاهر » للفضل ابن سلمة : « عن أحمد بن عبيد الله بن أحمد قال : أملی علينا أبو بكر محمد بن يحيى الصولی رحمه الله هذا الكتاب . وكان سبب إياه علينا أن رجلا من كان يحضر مجلسه ، يحضر مجلس أبي بكر محمد بن القاسم الأنباری . رحمه الله . فرأى يوما في يده كتابا ، فأخذه يقرؤه ، فوجده مجلدا من كتاب الزاهر، فقال : هذا منقول من كتاب الفاهر للفضل بن سلمة، كما نقل أبو محمد بن قتیبة كتابه المعارف من كتاب المحبر لابن حبيب . »

ونجد مؤلفا معاصرا — هو ابن رسته أبو علي أحمد بن عمر — قد ضمن كتابه «الأعلاق النفيسة» جملة من الأبواب التي انتظمها كتاب «المعارف»، فتحدث عن : الأوائل، والأشراف، وأهل العاهات، وأسماء المعلمين، وهن توالوا في نسق واحد . يكاد يكون المكتوب هنا هو المكتوب هناك ، مع اتفاق في المنقول عنهم . وكما حاكى ابن قتیبة غيره ونقل عنه — إن صح هذا — حوکی ابن قتیبة فی كتابه « المعارف » وأحتذى حذوه . فابن الجوزی (٥٩٧ هـ) كان فی كتابه «تلقیح فہوم الأثرۃ فی التاريخ والسیرۃ» مصطنعا نهج ابن قتیبة فی كتابه «المعارف» وجاريا فيه علی أسلوبه .

(١) الفهرست لابن التديم (١١٤) .

(٢) عیون الأخبار (١ : ٢٦٥ : ٢ : ٢٦٠ : ٣ : ٢١ : ١٥٨ : ٣١٦) .

(٣) الزاهر، فی معانی الكلام، لابن الأنباری، المتوفى ٥٧٧ هـ .

(١) يقول حاجي خليفة ، وهو يعرف بهذا الكتاب — أعني كتاب تلقيح فهم الأثر — وهو كتاب على أسلوب المعارف لابن قتيبة .

تأريخ تأليف الكتاب :

ونكاد نفيد من هذه الظنون حول كتاب «المعارف» — من أن ابن قتيبة فيه ناقل عن ابن حبيب (٢٤٥ هـ) وأبي حنيفة الدينوري (٢٨٢ هـ) — أن الكتاب ألفه ابن قتيبة بأخرة ، وابن قتيبة وهو يؤرخ للخلفاء انتهى إلى ولاية المعتمد على الله محمد بن جعفر (٢٥٦ هـ) ووقف عندها ولم يزد . ولو أن المعتمد كان قصير الأجل ، وأدركته منيته وابن قتيبة حي ، لسجل هذا ابن قتيبة ، وأفدنا من هذا — لو كان وقع — شيئا جديدا يحدد انتهاء ابن قتيبة منه على وجه التقريب .

ولو أن ابن قتيبة أهدى هذا الكتاب ، كما أهدى أدب الكاتب لأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، لأفدنا منه : متى بدأ ابن قتيبة به .

ولكنا نرى «الموفق» يُشخص ابن قتيبة إلى بغداد سنة ست وستين ومائتين ، فيقرأ عليه هذا الكتاب — أعني المعارف — ثم يجيزه بعشرة آلاف دينار^(٢) .

وأنت تعرف أن الموفق بالله طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم لم يل الخلافة أسما ، ولكنه ولها عملا ، فلقد عاش إلى جانب أخيه المعتمد على الله ، منذ ولي الخلافة سنة ٢٥٦ هـ ، يدير هو شؤون الخلافة ويسوس الأمور عن أخيه ، الذي لم يكن له من الأمر شيء .

(١) كشف الظنون (١ : ٤٨ — ٤٨١) .

(٢) اللوحة رقم ١ — وهي الصفحة الأخيرة من نسخة : ل .

إذن فأبن قتيبة ، حين قصد « الموفق » مستجيبا لدعوته ، كان قد فرغ من الكتاب ، وكان الكتاب قد أخذ مكانه في سوق التأليف ، شاع اسمه وعرف قدره . وأغلب الظن أن ظهوره وشيوع اسمه لم يكن قبل هذا التاريخ بكثير . فما نظن « الموفق » أبطا كثيرا ، وما نظنه فاته أن يدعو إليه أبن قتيبة بعد ظهور الكتاب بأمد طويل .



ونكاد نجزم أن هذا العام — نفي عام ٢٦٦ هـ — كان العام الذي نفّض ابن قتيبة يده من الكتاب، وأخذ يقرؤه على الناس و يقرؤه الناس عليه. فالمعروف عن الموفق أنه كان أديبا عالما بالأنساب، والمعروف عنه أنه كان الخليفة الفعلي على حين كان المعتمد الخليفة الاسمي، والمعروف أن الخلفاء كانوا أسبق الناس إلى تلقي هذه الكتب الجديدة وتلقي أصحابها.

نخلص من هذا إلى أن ابن قتيبة لم يكن قد وضع كتابه، أو لم يكن بدأ ينتهي منه، عند ما تولى المعتمد الخلافة سنة ٢٥٦ هـ. وأن ذلك امتد به أعواما بعد ولاية المعتمد، وأنه انتهى من كتابه عام ست وستين ومائتين، وما كاد يفرغ منه حتى دعاه إليه «الموفق» ينتفع بما فيه.

غير أننا أخيرا نجد شيئا يلفتنا في كتاب «المحبر»، وهو أن ابن حبيب حين أنخ للخلفاء انتهى إلى المعتضد. و«المعتضد» ولى سنة تسع وسبعين ومائتين. ونجد في نهاية هذا: «قال أبو سعيد السكري: أخبرني محمد بن سعيد بذلك كله».

والسكري الذي روى الكتاب عن ابن حبيب مات سنة ٢٧٥ هـ. وإنا نشير هذه لأننا نجد مثلها في كتاب «المعارف»، فعلى حين يذكر ابن قتيبة في مقدمته أنه سيتهى إلى المستعين بالله، حيث يقول: «ثم الخلفاء، من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى أحمد بن محمد بن المعتصم المستعين بالله^(١)». نجد في الكتاب بعد ذلك — عند ذكر الخلفاء — ذكر الثلاثة بعد المستعين بالله، وهم: المعتز بالله، ومحمد المهتدى، والمعتمد على الله.

(١) المعارف (٦).

تنتهى الزيادة فى « المعارف » إلى المعتمد .

وتنتهى الزيادة فى « المحبر » إلى المعتضد ، بزيادة خليفة على ما فى « المعارف » .
فهذا اتفاق أو شبه اتفاق اجتمع الكتابان عليه . وهو فى الأول ليس من وضع
أبن حبيب ، ولكنه فى الثانية قد يكون من وضع أبن قتيبة ، وقد يكون من
وضع غيره .

فإذا كان هذا من وضع أبن قتيبة انتهينا إلى رأى جديد يلقي ضوءا على وضع
الكتاب ، وهو أن أبن قتيبة وضع كتابه أيام المستعين (٢٤٨ هـ - ٢٥٢ هـ) .
وبقى الكتاب بين يدى أبن قتيبة حتى أدرك به أيام : المعتز ، فالمهتدى ، فالمعتمد
على الله (٢٥٦ هـ) ثم مات أبن قتيبة وترك المعتمد على الله فى الحكم ، فقد كانت
وفاة المعتمد على الله سنة ٢٧٩ هـ . وكانت وفاة أبن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ .

وإذا كان من وضع غيره كان الكتاب مفروضا منه أيام المستعين
(٢٤٨ هـ - ٢٥٢ هـ) ويكون لنا مع الموفق رأى آخر . وهو ، وإن لم نعرف
سنة ميلاده على التحديد ، فهى على التقريب حوالى سنة ٢٣٢ هـ ، لأنه كان أصغر
من أخيه المعتمد ، الذى كان ميلاده سنة ٢٢٩ هـ . وهو فى تلك الفترة - أى أيام
المستعين - كان حدثا ، ثم لم يكن ذا جاه ، وهو لم يبلغ هذا الجاه إلا أيام أخيه
الموفق . وحين بلغه استطاع أن يدعو إليه أبن قتيبة ، ويقرأ عليه كتاب « المعارف » .



ولكن لم أختار الموفق هذا الكتاب دون غيره ، وهو ليس جديدا ، ولأبن
قتيبة غيره ؟

والجواب على هذا يسير : فلقد كان « الموفق » معنيا بالأنساب ، والكتاب
جانب كبير منه فى الأنساب .

ثم لم أبطأ الموفق عشر سنين ، فقد كان شريكا لأخيه في الحكم منذ ولى —
أى سنة ٢٥٦ هـ ؟ وعلى هذه لا نملك غير أن نقول — إن كان لابد أن نقول —
إنه قضاها في الحرب ضد الطامعين في أخيه ^(١) .

كتاب المعارف وكتاب المحبر :

وما نملك « كتاب الشريف » لوكيع ، الذى أشار إليه ابن النديم ، كما لا نملك
تاريخ أبى حنيفة ، الذى أشار إليه المسعودى ، ولتكن نملك كتاب « المحبر »
لابن حبيب ، الذى يقال إن ابن قتيبة نقل منه . ونحب أن نضم إلى هذا شيئا آخر ،
وهو أن ابن حبيب كان له قبل المحبر كتاب اسمه « المنق » يكاد يضم أبواب
« المحبر » أو أكثرها ^(٢) .

نقول هذا لنضع بين يديك كتابين فى غرض واحد تقريبا ، يتفق وغرض
ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » يصح أن يكون النقل منهما معا ، أو النقل من
أحدهما مع الاستئناس بالآخر .

والآن فلننظر بين نهج ونهج ، نهج « المحبر » ونهج « المعارف » .
فالمحبر يحدث عن :

١ — المدد التى بين الأنبياء عليهم السلام .

٢ — أعمار الأنبياء .

٣ — ذكر تاريخ العرب .

٤ — مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) الكامل لابن الأثير (فى حوادث سنة ٢٧٨ هـ) .

(٢) المحبر (٥١١) .

٥ - تسمية من أقام الحج .

٦ - أسماء الخلفاء الراشدين .

٧ - « الخلفاء الأمويين » .

٨ - « الخلفاء العباسيين ... الخ » .

وهكذا كتاب « المعارف » يحدث عن هذا كله مع تلوين في العناوين ومخالفة في الترتيب .

ولكن قد يقال : هذا تاريخ لم يملكه ابن حبيب وإنما جمعه ، وكما جمعه ابن حبيب جمعه ابن قتيبة .

ولكن يقال : ما بال ابن قتيبة لم يخالف « ابن حبيب » في قصد قصدا آخر ، ويسوق مادته مساقا جديدا ؟ .

من الإنصاف لابن قتيبة أن تذكر أنه لم يسق الموضوعات سوق ابن حبيب بدءا وانتهاء وطريقة ، ولكنه خالف في الكثير ، وهو يسوق الحوادث ؛ فضم حيث فرق ابن حبيب ، وأوجز حيث أطال ابن حبيب ، ثم كان له بعد هذا وذلك نهج في المساق يجمع ما عند ابن حبيب في المحبر ، ولكنه يجري على نسق آخر . ثم من الإنصاف لابن حبيب أن تذكر أن ابن قتيبة يكاد يكون قد جعل « المحبر » معتمده في الكثير من تأله .

ومن الإنصاف لابن قتيبة أن تذكر أنه في هذا القليل الذي ترك فيه « المحبر » نقل نقولا ليست في « المحبر » .

ومن الإنصاف لابن قتيبة أن تذكر أنه حدث في كتابه « المعارف » عن شيوخ له ذكر أسماءهم ، يعزولهم ما يروى عنهم .

كتاب المعارف :

وبعد فكتاب المعارف موسوعة نتصف بالتنسيق ، مختارة أحسن الاختيار ، مبنية أبجل التبويب . تذكر الأنساب المتشعبة المتفرعة في إيجاز مستوعب ، وتلخص التاريخ تلخيصا من غير إخلال ، وتسوق الطرف والملح والنوادر على نهج محبب شائق ، لا يفلت منها شيء ذو خطر دون أن تشير إليه وتفصله ، مع إشارة إلى بعض المراجع فيها قصد ، وكنا نحب أن يكون فيها إسراف . وهذا مما يعاب على ابن قتيبة وغيره من المؤرخين ، يذكرون الخبر بسنده ، ويحرصون على هذا السند ، ولو كان حرصهم على ذكر المراجع مقرونا بهذا الحرص لأدت أمثال هذه الموسوعات نفعها على وجه أوسع وأعم . ولكن لكل عصر أسلوب ، وهكذا كان أسلوب المتقدمين ، ومنهم ابن قتيبة .

وقد جمعت هذه الموسوعة — أعني كتاب المعارف — كل ما يعنى الناس أن يعرفوه عن أسلافهم من أخبار ، وما ينقل لهم من حديث . والكتاب لاشك لون من ألوان الثقافات في ذلك العصر ، يدلك بما فيه على ما كان يحرص الناس أن يعرفوه .

وهو لا يزال مرجعا ذا بال يعتمد عليه ويرجع إليه ، يُسَعِف حين تعوز المطولات ، ويُغنى حين لا يُحتاج إلى تفصيل .

وقد جمعه ابن قتيبة للناس فأحسن جمعه ، وإن كان فاته — وهو الذى أُلّف في الشعر كتابه الجامع : الشعر والشعراء — أن يذكر أسماء الشعراء مع ما يروى لهم

من شعر، فتراه في بعض المواطن يذكر الشعر دون أن ينسبه إلى صاحبه ، ومنه الشعر المشهور المعروف ، كأن يذكر بيتا لحسان ويقول : قال آخر : ويذكر لغير حسان أبياتا ولا يعزوها لأصحابها .

تري هل تهم ابن قتيبة كما اتهمه غيرنا فنقول : إنه عدا على كتب غيره فالتهمها وكتب ما كتبوا ؟ .

أو نقول : إنه لم يعن نفسه بشيء من الاستقصاء ، حين لا يعوز إلا خفيف الاستقصاء .

ولكننا نتغفر له هذه وأمثاله مع زحمة التأليف وكثرة التصنيف ، وإن كان ما نعتذره له يُجلى غيره ، فالعلم الواسع يصحّح بعضه بعضا ، ويفسر ظاهره غامضه .

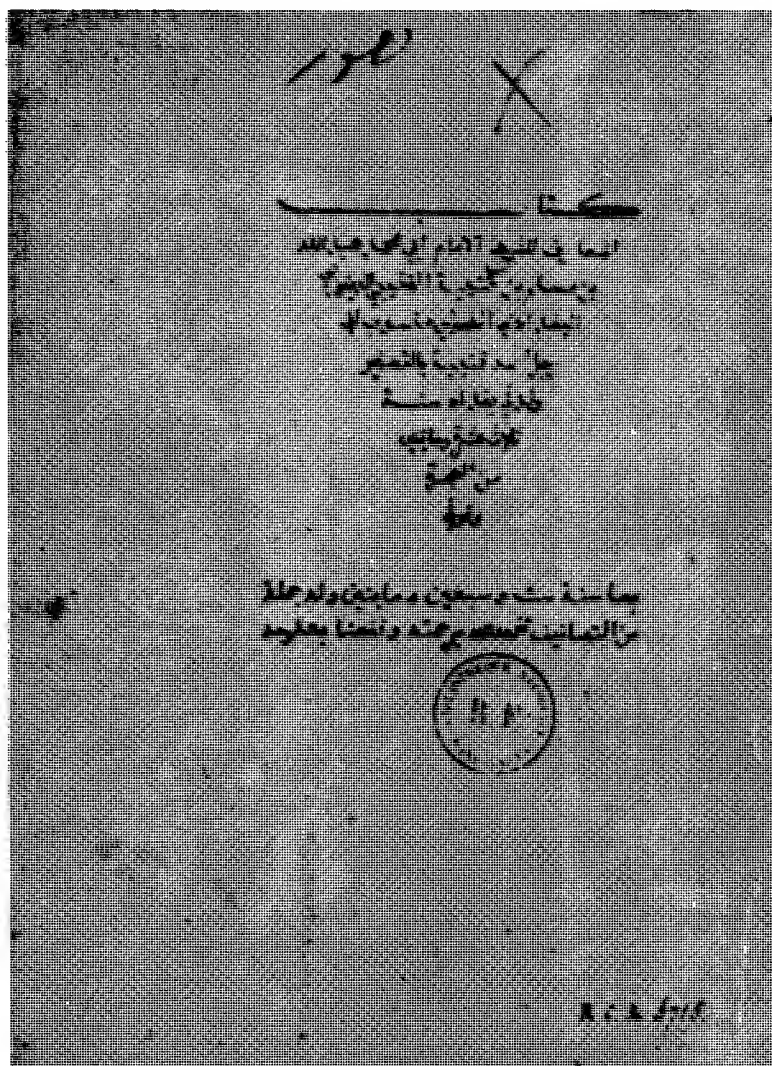


وبعد . ترى ما أسم الكتاب ؟ .

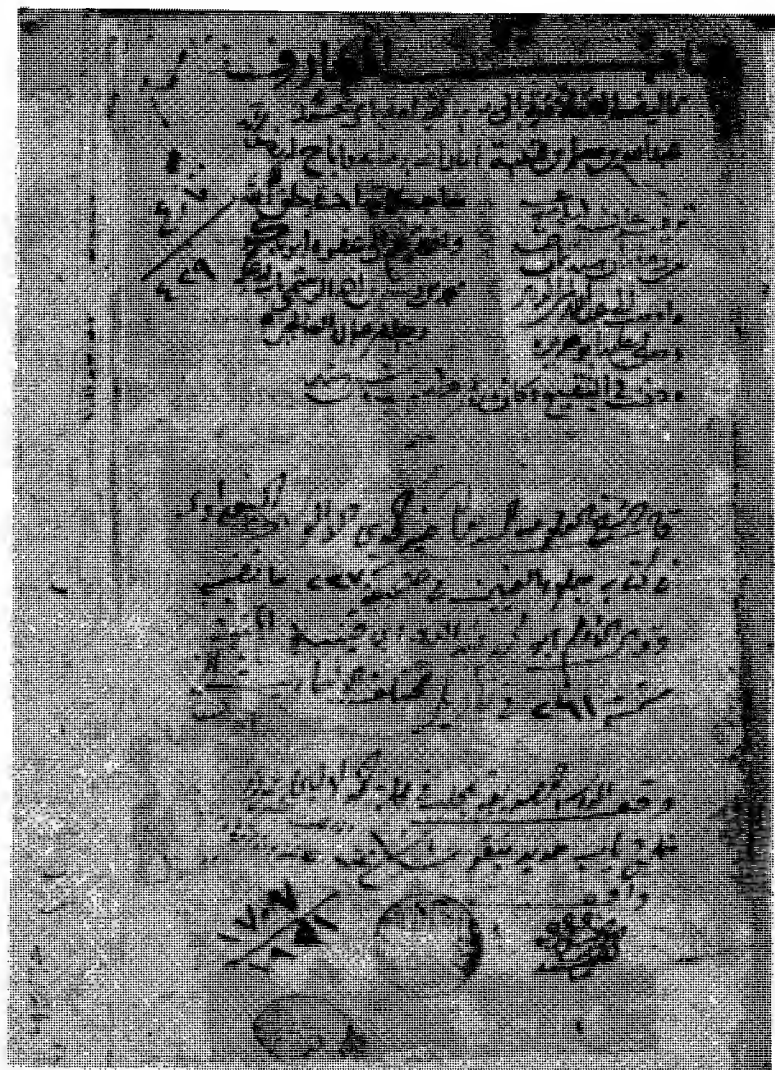
يكاد يكون إجماعا بين المؤرخين لابن قتيبة والذاكري كتبه أن أسم الكتاب « المعارف » معرّفا . وعلى هذه النسخ الخطية كلها لانستثنى منها إلا المخطوطة التي رمزنا إليها بالحرف (هـ) فتذكره دون تعريف فنقول « معارف ابن قتيبة ^(١) » .

ثم يكاد إجماعا بين هؤلاء المؤرخين حين يذكرون الكتاب كلمة مفردة لا يزيدون عليها شيئا ، لانستثنى منهم إلا حاجي خليفة حين يقول : المعارف في التاريخ .

(١) انظر اللوحات التالية .



اللوحة الأولى من المخطوطة « ب »



اللوحة الأولى من المخطوطة « م »

وعلى هذا الإجماع جميع المخطوطات التي بين أيدينا لا نستثنى منها إلا المخطوطة التي رمزنا إليها بالحرف (و) فنقول : كتاب المعارف في أخبار العرب وأنسابهم ^(١) . ولو عدنا إلى كتب ابن قتيبة نستقرئ أسماءها نجد أنها كلها لا تحمل زيادات مفسرة أو شارحة . وهذا ما يجعلنا نميل إلى أن هذه الزيادة أو تلك جاءت من وضع واضع ، إما تأثرا برأى من قال إن ابن قتيبة هذا حذو أبي حنيفة في تاريخه ، ومن هنا جاءت زيادة حاجي خليفة ؛ وإما تأثرا بالأبواب الأولى من الكتاب ، بخفاء إضافة تلك الخطية .

ولكننا لانخلص من هذا حتى نواجه شيئا جديدا ، فنجد المخطوطة التي رمزنا إليها بالحرف (ل) تحمل هذا العنوان « كتاب عوارف المعارف » . ولا نعرف كتابا بهذا الاسم إلا للسهروردي أبي حفص عمر (٦٣٢ هـ) .

وكأن قارئنا للنسخة ذكر اسمه في هذه الصفحة الأخيرة وهو — أحمد بن عمر ابن أبي بكر — وكان ذلك سنة (٧٤٣ هـ) — لقنه هذا العنوان ، وذكر أنه للسهروردي ، ورجع إلى ابن خلكان (٦٨١ هـ) يتلمس ترجمته ، فإذا هو يقع على ترجمة لسهروردي آخر ، فيورد منها شيئا نقلنا عن ابن خلكان ، ويختتمها بهذه العبارة : « وليس هو صاحب عوارف المعارف وإنما هو غيره » .

فهذا النقل يفيدنا شيئا لاشك ، هو ما ذكرناه من تقبل هذا القارئ اسم الكتاب على غير يقين وثبت ، ولكنه لم يقض فيه برأى ، وترك ما نقل للقارئين بعده يصور لهم تردده ، ويترك لهم بقية الحكم .

(١) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (و) .

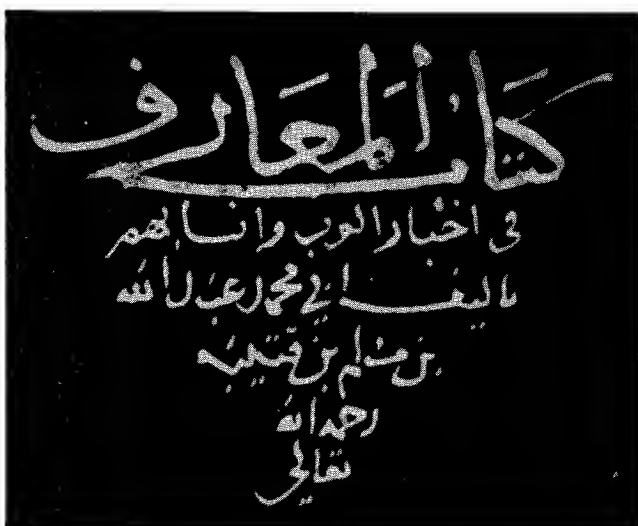
(٢) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (ل) .



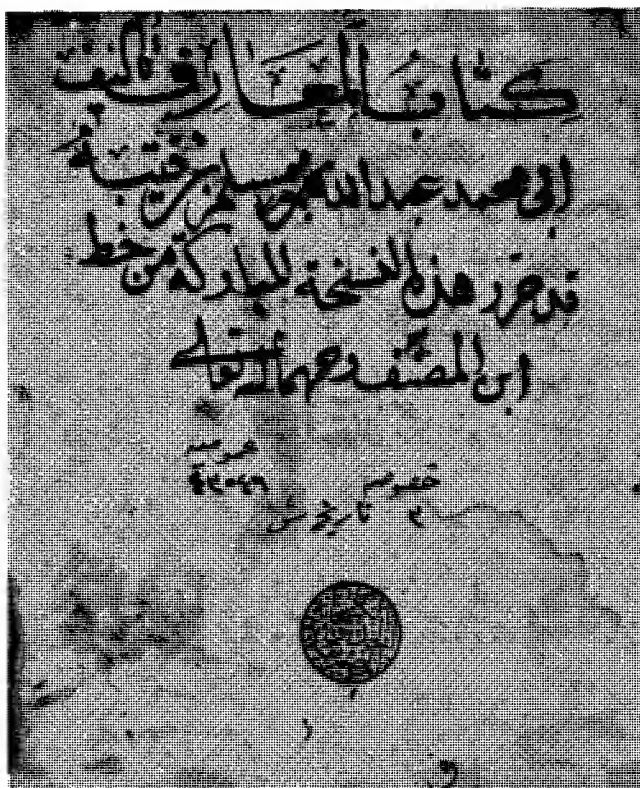
الصفحة الأولى — مخطوطة « ل »

والظريف أن هذه الخطية التي حملت هذا العنوان الجديد تختم الكتاب بهذه العبارة : « تم كتاب المعارف بحمد الله ... الخ^(١) » .

(١) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة (د) .



اللوحة الأولى من المخطوطة « ه »



اللوحة الأولى من المخطوطة (ق)



اللوح الأول من المخطوطة «و»



ولقد كان الفراغ من كتابة هذه النسخة سنة عشر وسبعائة . وكانت قراءة هذا القارئ — الذى هو أحمد بن عمر — سنة (٧٤٣ هـ) كما قدمنا ، أى كان بين نسخها وقراءته لها نحو من ثلاثين عاما .

وعبارات التملك التى على الصفحة الأولى التى بها العنوان هى بين سنتى (٩٩٩ هـ) وسنة (١٠٢٣ هـ) .

ترى هل دُست الصفحة الأولى على الكتاب ، ويكاد خطها بما فيه من مغايرة قليلة يملئ شيئا من هذا ؟ ولكن تلك الزيادة التى زادها هذا القارئ بخطه ، والتى تتصل بعنوان الكتاب ، تدفع هذا وتجعل الصفحة الأولى من الكتاب ومن تلك المخطوطة منذ نشأتها .

إذن فالكتاب كان يحمل أسما آخر ، وأن هذا الاسم يرجع إلى أوائل القرن الثامن الهجرى . أى بعد وفاة المؤلف بنحو من أربعائة سنة .

ولكننا لا نملك دليلا على أنها سبقت تسمية « السهروردى » وإلا لتغير موقفنا من اسم الكتاب ، وكان لهذه التسمية الجديدة وضع آخر .

ونكاد نميل إلى أن هذه التسمية جاءت متأخرة أى بعد « السهروردى » وكانت تسمية « السهروردى » جديدة قد شاعت ، وتسمية ابن قتيبة قديمة قد أختفت ، وكان بين التسميتين نوع من المشاركة ، فغلبت تسمية السهروردى .

وكانت النسخة لا تحمل عنوانا فحملها الكاتب هذا العنوان من عنده ، ولم يفتن لما جاء فى ختامها من التسمية الصحيحة ، وكانت هذه التسمية الجديدة .

حول تحقيق الكتاب :

وقد طبع هذا الكتاب طبعتين الأولى في « جوتيجن » سبتمبر سنة (١٨٥٠ م)
بعناية المستشرق « إف وستنفيلد » والثانية في القاهرة سنة (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م)
فريغ لقراءتها الأستاذ محمد الصاوي ، وقد انتهى إلى الثالث الأول ، ثم مضى الأستاذ
عثمان خليل يقرأ ما بقى .

وقد أشار الأستاذ وستنفيلد في مقدمته الألمانية القصيرة التي صدر بها الكتاب
إلى النسخ التي رجع إليها ، فإذا أهمها ثلاث ، نسخة في فينا ، وأخرى في جوتا ،
وثالثة في ليدن .

واجترأ وستنفيلد بثبت يقع في نحو الصفحتين جعله مع الفهرست البدائي ،
أثبت فيه الخلاف بين هذه الأصول .

وعلى الرغم من الجهد المشكور الذي حمله الأستاذ وستنفيلد في تحقيق الكتاب
فإنه جاء ينقصه أشياء كثيرة .

هذا إلى أن الكتاب كانت لا تزال له أصول أخرى خطية ، تزيد فيه وتصحح
مواضع منه ، لم يرجع إليها الأستاذ .

وقد رجع الأستاذان « الصاوي ، وعثمان خليل » إلى طبعة الأستاذ وستنفيلد
معتمدين عليها ، وعلى نسخة خطية في دار الكتب المصرية . ذكرها دون أن
يعرفا بها .

وما قدما للكتاب بشيء ، وإن كان قد ذيلاه بفهرست يضم موضوعاته .
وتكاد تكون هذه الطبعة صورة من طبعة وستنفيلد ، إلا في القليل الذي
اعتمد فيه الأستاذان على اجتهدهما .

الأصول الخطية للكتاب :

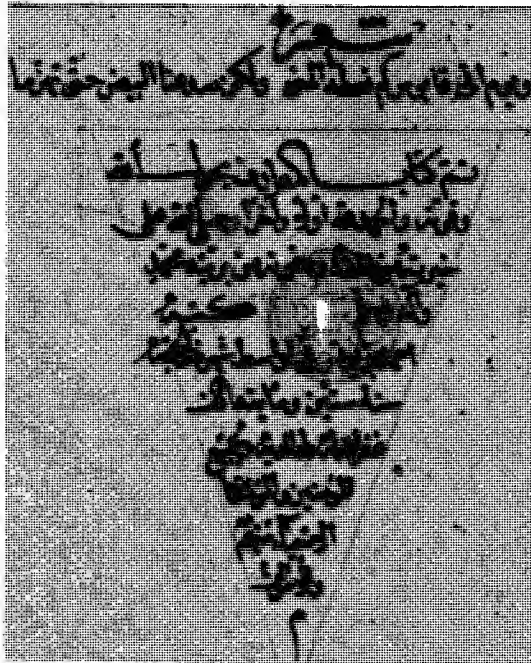
وقد جهدت في أن أجمع لهذا الكتاب أصوله الخطية ما وسعني الجهد ،
لا أستثنى تلك المخطوطات التي اعتمد عليها وستنفيذ ، فإذا بين يدي منها :

١ : ب — خطية كتبها يوحنا بن يوسف بمدينة مرسليليا نقلا عن أصل
آخر لم يذكره إلا أنه قال : « المتضرع إلى من يقرأ هذا الكتاب ، وإلى من يطلع على
ما يحويه من الخطأ ألا ينسب إليه ما يجده من الغلط والتحريف ، لأن جميع ذلك
موجود في الأصل المنقول . والظاهر أن كاتبه جاهل قليل العلم فالتزم محرر
الأحرف أن ينقل مما وجد ويثبت مما عاين ، لأنه ما وقع على نسخة ثانية^(١) » .

فهو قد كفانا بكلمته هذه أن يدل على ما في النسخة من خطأ وتحريف . غير
أنه فاته أن يشير إلى شيء آخر له خطره ، دخل على النسخة فأضعف الثقة بها .
ففي النسخة نقول من كتب أخرى مختلفة متأخرة ، كانت لا شك أولاً أشبه
شيء بالتحشية والتعليق ، فإذا هي على مر الأيام تكون في متن الكتاب .
ففي الكتاب نقول عن ابن الجوزي ، والنووي ، والبلوي ، وابن سيد الناس ،
ونقول عن غيره من المتأخرين أشرنا إليها في أماكنها من الكتاب . دُست على الكتاب
على أنها منه .

ولهذا كانت جناية هذه النسخة على كتاب « المعارف » كبيرة ، فقد دُست عليه هذا
وغيره من عناوين مصطنعة ، وأدعية ، واستطرادات تحتاج إلى روية وبصر لتمييزها .
والخطوطة متأخرة النسخ فقد كتبت في سنة ١٢٦٥ هـ بخط بين النسخ والرقعة ،
وهو واضح في حملته ، وهي من مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس ، ورقمها ١٤٦٥^(٢)

(١) ص ١٩٧ من المخطوطة ب . (٢) انظر ص ١٩٠ من المخطوطة ب .



اللوحة الأخيرة من المخطوطة « ق »

٢ : ط — وهى من مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس ، رقمها (٤٨٣٣) .
وهى نسخة رديئة الخط ، مليئة بالحواشى والتعليقات ، مهمة التاريخ ،
مجهولة الكاتب .

وهى من غير شك الأصل الذى نقل منه « يوحنا بن يوسف » كاتب النسخة
الأولى التى رمزنا إليها بالحرف « ب » .

فهذه أصل والنسخة الأولى فرع . ليس بينهما من فروق جوهرية ، ولكننا
نجد هنا كلمات غمضت على الناسخ ، فلم يستطع قراءتها ووجهها كما رأى .
ومن هنا جاءت الخلافات بين النسختين ^(١) .

٣ : ق — وهى إحدى مخطوطتى دار الكتب المصرية ، ورقمها ٣ تاريخ ،
من وقف المرحوم محمد بن محمود بن التلاميذ الشنقيطى .

مكتوبة بالخط النسخ القريب من التجويد ، واضحة الحروف ، ناطقة
الكلمات ، تكاد تكون أصح أصل وأسلمه . على هامشها بعض التصحيحات ،
ولعلها من تصحيحات الواقف ، وبأولها هذه العبارة : « وقد حرر هذه النسخة
المباركة من خط أبى المصنف رحمهما الله تعالى » ^(٢) .

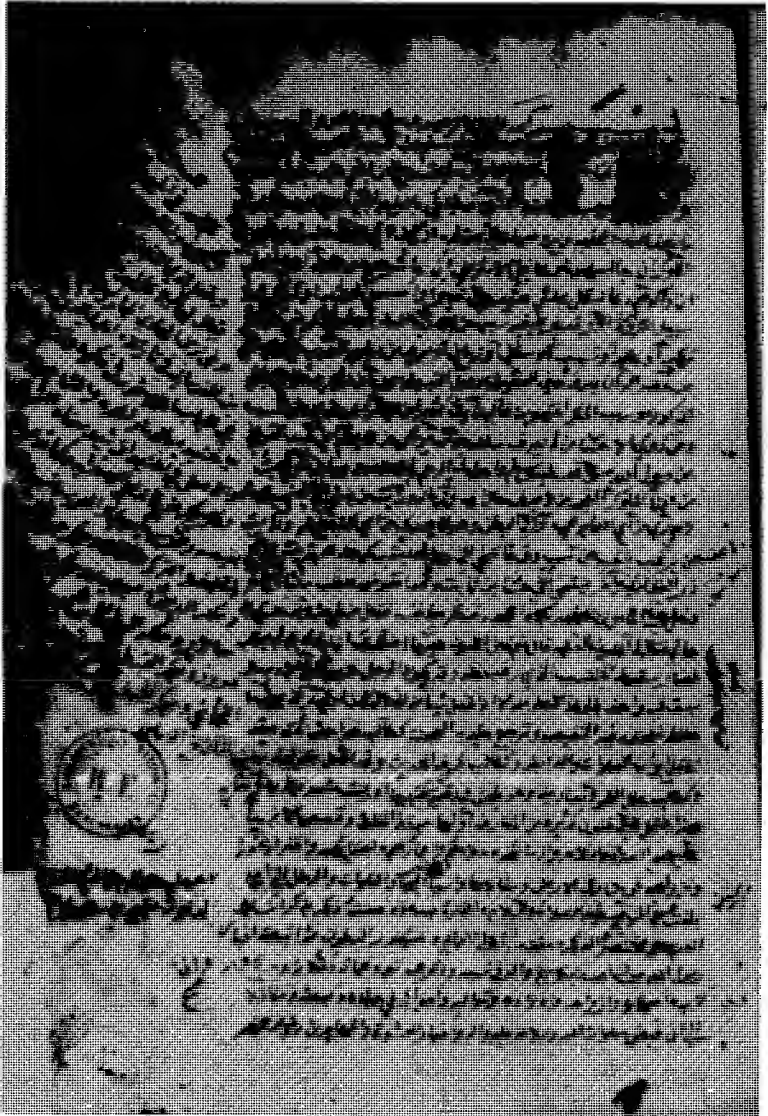
وبأنه ما يفيد أن نسخها تم سنة (١١٦٠) على يد كاتبها أحمد بن يونس ^(٣) .

٤ : ل — وهى من مخطوطات المتحف البريطانى بلندن . وهى النسخة التى
عرفناها من قبل ، على أنها تحمل عنوانا مخالفا لإجماع النسخ .

وقد أشرنا إلى أنها قديمة خطها لا بأس به . وهى تحمل فى حواشها كثيرا من
الحواشى التى جاءت فى : ب ، ط ^(٤) .

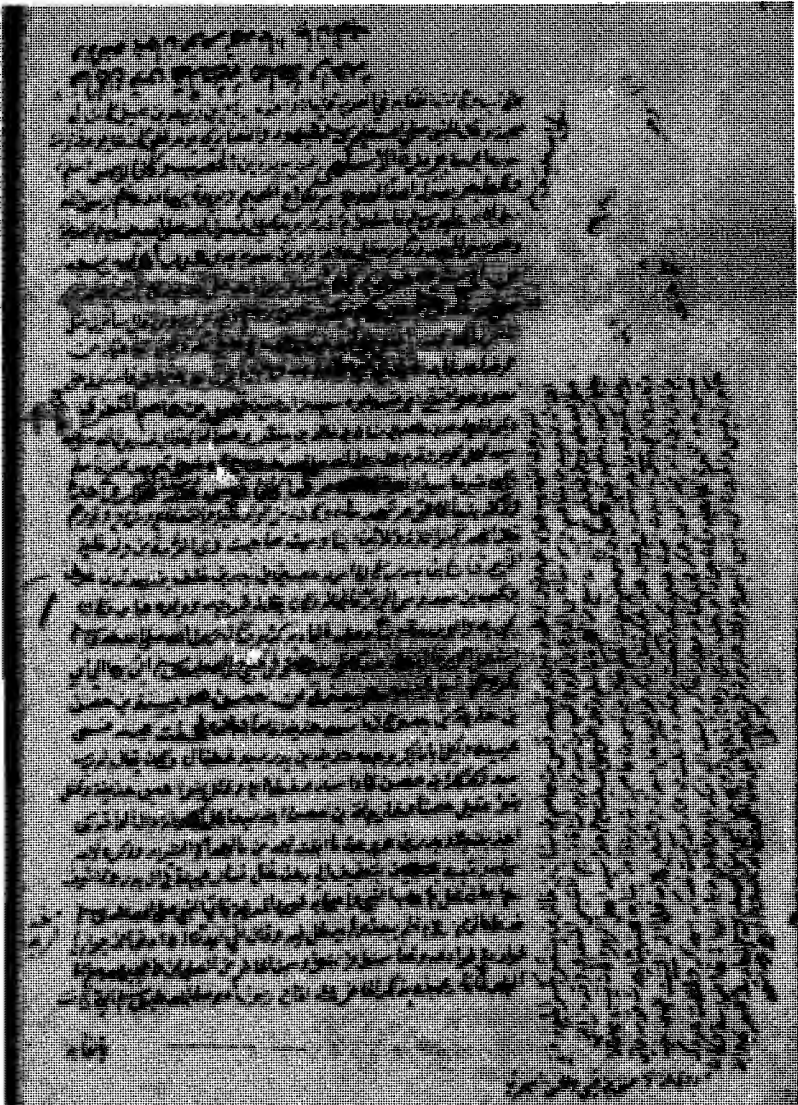
(١) انظر اللوحتين التاليتين . (٢) الصفحة الأولى من المخطوطة « ق » .
(٣) الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ق » . (٤) صفحة من المخطوطة « ط » .

وهي في يقيني عن أصل مخالف ، يقرب من الأصل الذي أخذت عنه «ب» ،
«ط» في شيء ، كما يقرب من الأصل الذي أخذت عنه «ق» ، «م» في شيء آخر .



صفحة أولى من المخطوطة « ط »

فهى مع الأولى تتفق مع الأصلين فى بعض الحواشى المنقولة ومع الثانية تتفق
فى الكلمات وتوجيهها .



ويؤتى ما لا يواورده أم البحر حاصنة إلى
سنة بعد موت أمه يؤتى عند المطلب وهو
ثماني سنين وشهرين. وخرج مع إلى طاب عة
إلا التام في بخاره وهو ابن اثني عشرة وبعد
البحار وهو عشرين سنة وخرج لا التام
لحد كنه ابنه خنبلد وهو عشرين
سنة وتر وجهها بعد ذلك بشهرين وأقام
وبعيت الكعبة. ورضيت قريش بكلمة لها وهو
ابن خمس وثلاثين سنة. وبعث وهو ابن أربعين
سنة بعد بيان الكعبة بحس سنين. وراى
قريش الحقوم يرميها بعد عشرين يوماً من
سبعته. وتوفي عمه أبو طالب وهو ابن سبع
وأربعين سنة. وثمانية أشهر وأيام. وبقيت
خديجة بعد إلى طاب ثلاثة أيام. وخرج طاب
الطائف ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة من
موقف خديجة فأقام بها شهراً ثم رجع إلى مكة
في حواري مطعم بن عدي. وأشرى ببلال بقت
المقدس من بعد سنة ونصف من وقت جوعه
للمكة. ثم أمر الله عز وجل بالهجرة وأمر من
عنه الجهاد فأمر أصحابه بالهجرة فخرجوا إلى
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر

• م : — وهى النسخة الثانية لدار الكتب المصرية، ورقها ٤٢٩ تاريخ . وكانت فى الأصل من وقف المدرسة الصديقية بحلب، وهى نسخة سقيمة الخط، بها طمس كثير، غير منتظمة الورق، كتبت فى غير اتساق ولا عناية .

وهى على الرغم من هذا سليمة خالية من الحشو .

وأكد أعد هذه النسخة فرع من نسخة الشنقيطى، فالاتفاق بينهما واضح، ولا فرق بينهما إلا فيما تحالف فيه نسخة نسخة وهى تنقل عنها .

وهذه النسخة تحمل فى صفحتها الأولى عبارة منقولة عن كتاب «جلاء العينين فى محاسبة الأحمدين» يعنى: أبى تيمية وأبى حجر. لمؤلفه الآلوسى نعمان بن محمود بن عبد الله (١٣١٧ هـ) مما يدل على تأخر كتابتها عن سابقتها^(١) .

٦ : ه — وهى نسخة ليدن، وهى واحدة من النسخ التى اعتمد عليها وستيفيلد، كتبت فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى، بقلم عبد القادر بن عبد الرحمن، وكان الفراغ منها فى آخر شهر صفر من شهر سنة ١١٠٧ هـ^(٢) .

٧ : و — نسخة فينا، وهى واحدة من النسخ التى اعتمد عليها وستيفيلد أيضا . وهذه النسخة والسابقة تقربان كثيرا من النسختين القاهريتين مما يدل على أنهما جميعا من أصل واحد^(٣) .

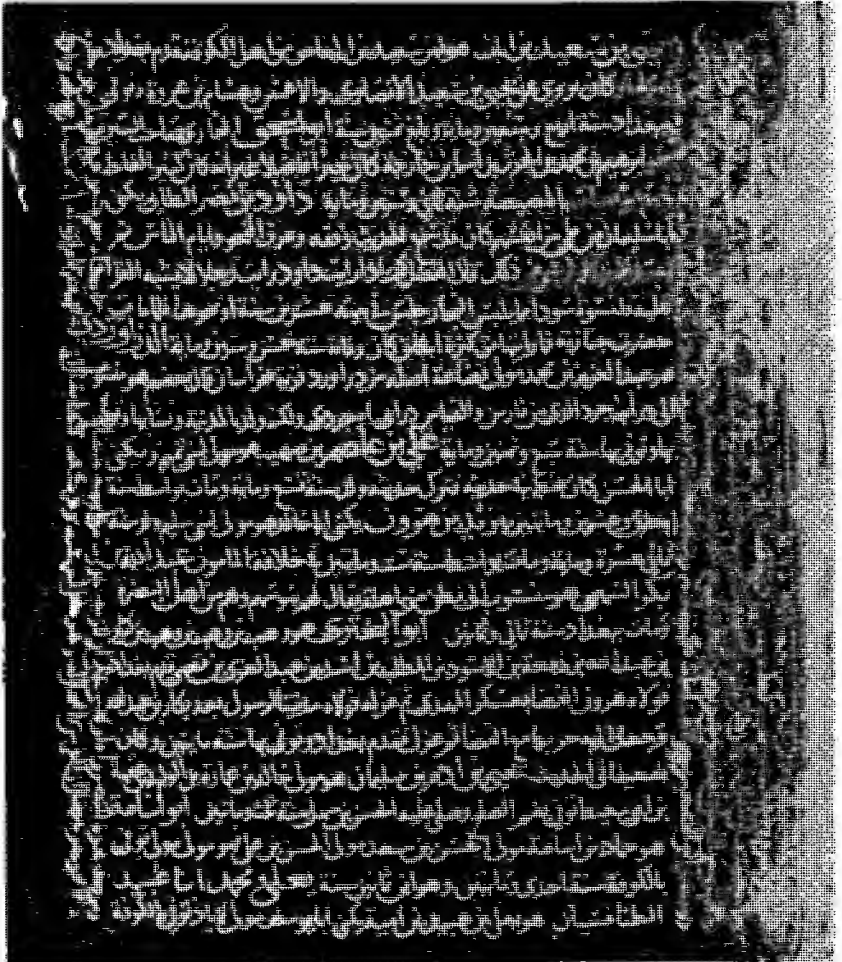
واليك شجرة تقريبية تبين صلة هذه النسخ بعضها ببعض^(٤) .

(١) اللوحة الأولى واللوحة الأخيرة من المخطوطة « م » .

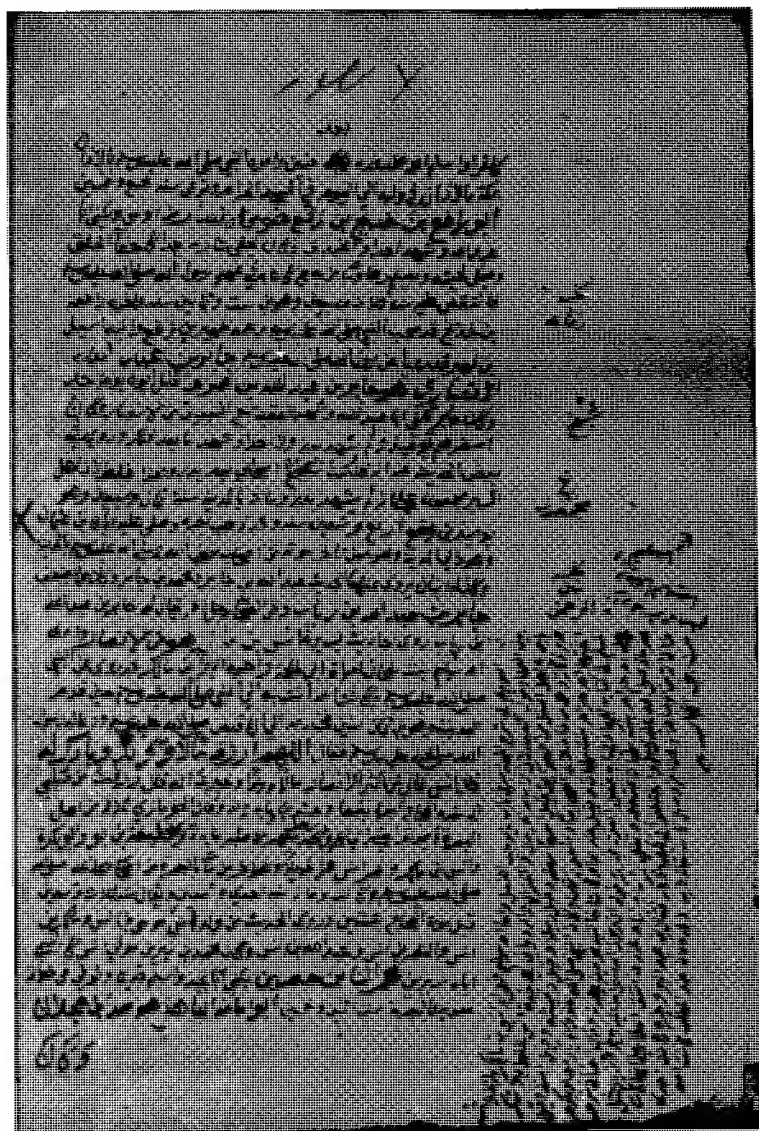
(٢) الصفحتان الأولى والأخيرة من المخطوطة « ه » .

(٣) الصفحتان الأولى والأخيرة من المخطوطة « و » .

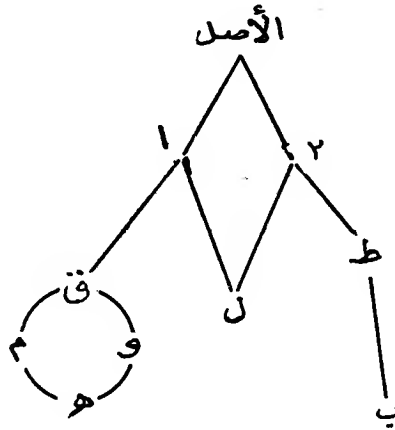
(٤) انظر شجرة أصول الكتاب .



صفحة من المخطوطة « م »



صفحة أخرى من المخطوطة « ط »



وبعد :

فلقد كان الخلاف بين هذه النسخ بعيداً يحتاج إلى الرجوع إليها جملة مع كل كلمة — ولقد كانت النسخة المصرية الشنقيطية (ق) هي أقربها دائماً إلى الصواب — كما قدما — تجد ذلك في إشارات كثيرة، كما كانت أبعدها من الحشو، وتحققنا من الزيادات والعناوين الدخيلة المضطربة .

وما نشك أن الكتاب تعرض لكثير من الفساد، نسخته الخطية ونسخه المطبوعة، وكان استخلاص هذا منه واستصفائه وتحريه شيئاً يحتاج إلى الرجوع إلى الأصول، ثم إلى مراجع كثيرة .

وكان لابد من شرح وتعليق يجلو كثيراً من مبهمات الكتاب ومشكلاته، كما كان أن لابد من تعريف رجال السند لنستوثق من اتصال السند وأنه غير منقطع، وأنه لا تدليس فيه .

كما كان التعريف بغير رجال السند واجباً للتثبت منهم، ولتخليص أسمائهم من تحريف وقع فيها .

وقد خلصت الكتاب من تلك الزيادات ، التي قطعت بأنها دخيلة ، وجعلتها في هامشه . وأما غيرها التي لم أقطع فيها برأى ، وكانت تحتل رأيين ، فتركها كما هي ، مع الإشارة إلى ذلك .

ولم أهمل جهد « وستنفيلد » كما لم أهمل جهد الأستاذين : الصاوى وعثمان خليل . فلم يفتنى الاستئناس بالكاتبين المطبوعين .

وقد جعلت نسخة وستنفيلد أصلا من الأصول رمزت إلى صفحاتها ، وأغفلت الإشارة إلى الخلافات التي فيها ، إذ كانت بين يدي الخطيات التي اعتمد عليها .

حتى إذا ما انتهيت من الكتاب معارضة ومراجعة وتحقيقا وتصويبا ، توجهت هذا كله بفهرست جامع شامل ينظم :

٨ — فهرس القوافي	١ — فهرس الموضوعات
٩ — أنصاف الأبيات	٢ — رجال السند
١٠ — الأمثال	٣ — الشعراء
١١ — الآيات القرآنية	٤ — الأعلام
١٢ — الكتب	٥ — القبائل
	٦ — الأماكن
	٧ — الأيام



وإني لأرجو بعد هذا كله أن أكون قد وفقت إلى ما أرجو من إخراج كتاب المعارف في صورة سليمة صحيحة ما

دكتور

ثروت عكاشه

تعقيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد ، فقد كانت لى ثمة كلمة تتصل بالكتاب وصاحبه ، جاء فى المقدمة منها شىء ، وجاء فيها شىء لم تضمه المقدمة ، وهى بهذا الذى جاء وذلك الذى لم يحى سيقّت مساقا آخر يخالف هذا المساق الذى قدّمْتُ به للكتاب ؛ فلقد كانت تلك دراسة تاريخية عامة ، وهذه دراسة تاريخية موضوعية ؛ تتناول الأولى البيئة فى كل مظاهرها الثقافية ، وتتناول هذه البيئة فى مظهر واحد من تلك المظاهر ، وهو الذى يتصل بنهج كتاب « المعارف » وأمثاله .

وعلى حين لم تتناول الأولى جهد « ابن قتيبة » فى مؤلفه هذا « المعارف » فى شىء من التفصيل الناقد ، تناولت هذه عمل « ابن قتيبة » فى هذا التفصيل الناقد ؛ ثم لقد خلت الأولى من التعريف بخطوط حصلت عليها متأخرا ، وضمت هذه التعريف بتلك المخطوطات .

وهى بعد هذا كلمة قدّمْتُ بها لعملى كله بين يدى اللجنة التى ناقشتنى رسالة الدكتوراه ، أجملتُ وأضافت ، ونلصقت وأسهبّت .

وقد رأيتها تُتم عملا فلم أشأ أن أحرم هذا العمل من ضمها إليه ، ورأيتها تضيف شيئا ، فلم أشأ أن أحبسّه عن القارئ ليشاركنى الرأى فيه .

وأنا على هذا لم أثبت ما كان منها تكراراً صريحاً ، واجتزأت بما كان منها جديداً أو يُمهّد للجديد .

ومن الوفاء للعمل أن نطالع به الناس كاملاً يستوعب كل ما كان حوله ؛ ما سبقه وما عاصره ، وما جاء في إثر هذا وذاك ، فكل عمل قطعة من التاريخ ، وما أحوج التاريخ أن تجتمع له تلك القطع كاملة غير منقوصة .
وليك هذه الكلمة مع هذا الإيجاز وتلك الإضافة .

(١)

إن حاجة المكتبة العربية إلى الكتب الجامعة لألوان المعرفة ، أشبه شيء بدوائر المعارف الميسرة ، لا تزال حاجة قائمة .

وقد أحسّ السلف هذا فكان لهم في هذا الميدان جهد موزع جاء في الأكثر على صور جزئية ، وفي القليل على صور دوائر معارف .
فكان لهم من تلك الصور الخاصة كتبهم التي أفردوها للرجالات :

١ - كان لهم في الشعر :

- (١) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام (٢٣٢ هـ) .
- (٢) الشعر والشعراء لأبن قتيبة . صاحب كتابنا هذا (٢٧٦ هـ) .
- (٣) طبقات الشعراء لأبن المعتز (٢٩٦ هـ) .
- (٤) معجم الشعراء للرزباني (٣٨٤ هـ) .

ب - وكان لهم كتب جمعوا فيها الأدباء عامة مثل :

- (١) يتيمة الدهر للشعالبي (٤٢٩ هـ) .
- (٢) دمية القصر للباخرزي (٤٦٧ هـ) .
- (٣) نزهة الألبا بطبقات الأدبا (٥٥٧ هـ) .

• (٤) خريدة القصر للحماد الأصفهاني (٥٩٧ هـ) .

• (٥) إرشاد الأريب لياقوت (٦٢٦ هـ) .

ج - وكتبهم التي خصوها بالأعيان يجمعون فيها الأدباء والشعراء وغيرهم ممن كان لهم شهرة وصيت ، مثل :

• (١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١ هـ) .

• (٢) فوات الوفيات لابن شاكر (٧٢٤ هـ) .

• (٣) أعيان العصر للصفدي (٧٦٤ هـ) .

د - وكتبهم التي أفردوها لطبقات الصحابة مثل :

• (١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠ هـ) .

• (٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٤٦٣ هـ) .

• (٣) أسد الغابة لابن الأثير (٦٣٠ هـ) .

• (٤) الإصابة لابن حجر (٨٥٢ هـ) .

هـ - وكتبهم التي ضمنوها تراجم القراء والفقهاء مثل :

• (١) طبقات الفقهاء للشيرازي (٤٧٦ هـ) .

• (٢) طبقات القراء المشهورين للذهبي (٧٤٨ هـ) .

• (٣) طبقات القراء لابن الجزري (٨٣٣ هـ) .

و - وكتبهم التي خصوها بطبقات المفسرين مثل :

• (١) طبقات المفسرين للسيوطي (٩١١ هـ) .

• (٢) طبقات المفسرين للداودي (حوالي ٩٤٥ هـ) .

ز — وكتبهم التي خصوها بطبقات الأولياء، مثل :

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٤٣٠ هـ) .

(٢) الأنوار القدسية للشرنوبلي (٩٩٤ هـ) .

ح — وكتبهم التي خصوها بالنحاة، مثل :

(١) إنباه الرواة للقفطي (٦٤٦ هـ) .

(٢) بقية الوعاة للسيوطي (٩١١ هـ) .

ط — وكتبهم التي أفردوها للحكماء والأطباء، مثل :

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (٦٤٦ هـ) .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأبن أبي أصيبعة (٦٦٨ هـ) .

ي — ثم كتبهم في طبقات رجال المذاهب، مثل :

(١) طبقات المالكية للقاضي عياض (٥٤٤ هـ) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكي (٧٧١ هـ) .

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبن أبي الوفا القرشي (٧٧٥ هـ) .

(٤) طبقات الحنابلة لأبن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) .

وعلى هذا النحو في تلك الصور الخاصة ألفوا ، ما تكاد تتميز عندهم طبقة
ويجمعها طابع واحد أو قريب من أن يكون طابعا واحدا ، حتى يخصصوها بكتاب
أو أكثر .

ولكنهم أحسوا وهم يصدرون في تلك الناحية التي وقوها الوفاء كله أن عليهم
واجبا آخر لا يقل عن هذا شأننا ، أحسوه في أنفسهم وأحسوه في أنفس الناس

من حولهم ، وأنهم لا بد لهم وللناس من كتب جامعة تجمع تلك المعارف المتفرقة المبعثرة ، فخذوا يجمعون ما يستطيعون جمعه في كتيبات تملئها عليهم حاجاتهم التي أحسوها ، وموضوعاتهم التي تعني البيئة من حولهم .

فكان لهم في هذا الميدان العام :

- (١) المحبر لأبن حبيب (٥٢٤٥) .
- (٢) - المعارف - وهو كتابنا هذا .
- (٣) لطائف المعارف للثعالبي (٥٣٨٣) .
- (٤) مفاتيح العلوم للخوارزمي (٥٣٨٣) .
- (٥) ألف باء للبلوى (٥٦٠٥) .
- (٦) التعريفات للجرجاني (٥٨١٦) .

ولكن جهدهم في هذا الميدان العام كان لا شك جهداً قصوراً ، لم يجمع ألوان المعرفة كلها ، ولم يستقم ليكون أشبه بدوائر المعارف بمعناها الصحيح ؛ إلا أنه على الرغم من هذا كان جهداً سداً فراغاً وأفاد شيئاً ما .

وقد أحس الخلف بنقص هذا المجهود ، وحاولوا أن يستدركوا ما فات السلف ، فتهيؤوا لهذا العمل يحاولون أن يكملوا النقص على قدر ما يستطيعون ، فكان لهم في ذلك كتب ، مثل :

- (١) المفردات لأبن البيطار (٥٦٤٦) .
- (٢) كشف اصطلاح الفنون للتهانوي (القرن الثاني عشر الهجري) .

وجاء في إثر هؤلاء رجال من المدرسة الحديثة يريدون أن يستوا الفراغ كله ،
فجثوا في إنحراج دوائر معارف جامعة ، ولكنه كان مجهودا فرديا وكان العبء عليهم
كثيرا ، فوقفوا بعض الشيء ، وكان لنا من هذه الدوائر :

(١) دائرة المعارف للبستاني (القرن الثاني عشر) .

(٢) » » لوجدى (القرن الثالث عشر) .



وهكذا نرى أن المكتبة العربية كانت غنية بتلك الكتب الخاصة ، فقيرة
من تلك الكتب العامة ، على الرغم من قيمة تلك الكتب العامة ونفعها لأبناء
الأجيال المتعاقبة التي عاشت عليها .

ومن سوء حظ المكتبة العربية أن هذه الكتب العامة لم يكتب لبعضها
الظهور إلا في وقت متأخر .

فقد طبع كتاب « المحبر » لأبن حبيب سنة ١٩٤٢ م ؛ بعناية مستشرق ألمانية
هي الآنسة « الزا لشتن اشتير » .

ومن قبله طبع كتاب « المعارف » بعناية المستشرق وستفلد سنة ١٨٥٠ م ،
كذلك طبع الكتاب « التعريفات » للجرجاني في باريس سنة ١٨٤٥ م ، كما طبع
كتاب « مفاتيح العلوم » للخوارزمي في لندن سنة ١٨٩٥ م .

وكانت هذه الطباعات الأوروبية من الندرة بمكان في الأسواق الشرقية ، مما
لفت بعض الناشرين إلى إعادة طبع بعضها ، فطبع كتاب « المعارف » في مصر كما
طبع كتاب « التعريفات » « وكتاب مفاتيح العلوم » ، ولكنها طباعات للأسف
لا تعين قارئاً على القراءة فيها .



وكان كتابا المحبر والمعارف هما أغنى هذه الكتب بالمواد . وكان أولها حديث عهد بالطبع ، وكان ثانيهما قد مضى على إخراجه ما يُربى على قرن . وكان أن توفرت لدى منه نسخ خطية أخرى فأتت الزميل الكريم الراحل « وستنفلد » الذى عنى نفسه بإخراجه . وكانت هذه النسخ تستدرك كثيرا ، وتشير إلى خلاف كثير .

من أجل هذا كله خصصت هذا الكتاب — أعنى كتاب « المعارف » — بمجهدى ، وفرغت أجمع له أصوله الخطية ما وسعنى الجهد ، لأخرجه فى صورة جلية واضحة .

(٢)

وفى ظل ذلك الإحساس العام الذى أشرت إليه اتجه « ابن قتيبة » لتأليف هذا الكتاب يريد أن يجمع للناس تلك المعارف المختلفة التى يعينهم أن يعرفوها ، ويعينهم أن يجدوها مجموعة فى كتاب واحد .

وما نأخذ على « ابن قتيبة » أنه جمع شيئا وأهمل شيئا ، بل علينا أن نناقشه ؛ ناظرين إلى حاجة العصر الذى كان يعيش فيه .

فحاجة العصر الذى كان يعيش فيه « ابن قتيبة » كانت تمل عليه أن يكون بين الناس مثل هذا الكتاب الجامع ، الذى يمكن الكاتب من أن تتوفر له حصيلة علمية تاريخية أدبية ، مجموعة مبنية .

وإن الشعور الذى أمل على « ابن قتيبة » أن يؤلف كتابه « أدب الكاتب » ليصير الكاتب بما هو فى حاجة إليه وما يجب عليه ، هو الشعور الذى أمل على « ابن قتيبة » أن يؤلف كتابه « المعارف » ليجمع بين يدى الكاتب ما يحتاجه من معرفة ، بعد ما جمع له ما يحتاج إليه من تقويم اللسان ، وبعد أن بصره بشئون الكتابة .

- (١) فلا بد للكاتب من أن يلمّ بالتاريخ المسمّاة سريعة .
 - (٢) ولا بد للكاتب من أن يلمّ بالأنساب العامة مختصرة، حتى لا يفوته من ذلك شيء، وحتى لا يخلط بين قبيلة وقبيلة .
 - (٣) ولا بد للكاتب من أن يعرف جملة من مشهورى الأدباء والعلماء .
 - (٤) ولا بد للكاتب من أن يعرف أخبارا منسقة يجتمع أصحابها تحت نسق، تكون أشبه شيء بالطُرف بين يديه .
 - (٥) ولا بد للكاتب من أن يعرف أخبار الأمم التي اتصلت بالعرب حتى لا يجهل شيئا من ذلك .
- وفي هذه العجالة المختصرة قدم «ابن قتيبة» كتابه «المعارف» يريد أن يبصّر الناس بشيء لا يسعهم جهله .

(٣)

ولكننا لانشك في أن «ابن قتيبة» كان في كتابه هذا عجلا كل العجلة؛ لهذا جاء هذا الكتاب مختصرا . كما أعجلته هذه العجلة عن أن يتأبث قليلا مع ما يروى ، إلا حين يشرح كلمة لغوية أو يضيف شيئا بهذا الشرح اللغوى .

١ - فهو حين عرض للذبيح مثلا (ص ٣٧) :

(١) لم يكلف نفسه عناء الاستقصاء في مسألة كهذه ، حولها كلام كثير ومعها رأى لجمهرة المسلمين مدلل عليه مقرب بالبراهين، وهى مسألة لا يُكتفى فيها بسوق النتيجة على هذا الوجه من الاقتصار الذى انتهجه «ابن قتيبة» .

لم يناقش الخلاف بين التوراة والقرآن ولم يرجح أحد الرايين على الآخر، وإنما عرض رأى مع الخلاف فيه، دون أن يقول شيئا !

(٢) ثم هو قد أورد ما أورده غيره، نقلا عن تلك الإسرائيليات بما فيها من تخليط .

(٣) وعذر « ابن قتيبة » عذر غيره من المؤرخين الذين اعتمدوا النسخة العربية من التوراة دون الرجوع إلى النسخ الأخرى منها المترجمة إلى العبرية واليونانية مثلا ^(١) .

ب - ثم هو حين عرض لآدم (ص ١٤ - ١٨) :

(١) تورط في ذكر المكان الذي نزل عليه .

(٢) ووصفه بأنه كان أمرد وإنما نبتت اللحية لأبنائه من بعده .

ج - ثم هو حين عرض للحديث عن الأنبياء :

(١) لم يتخلص من تلك الصفات الجسمية التي وصفهم بها من غير مستند .

(٢) وأورد الكلام عن أعمارهم ، والأدلة العقلية كلها ترد ما أورد .

ولسكا إن عذرنا « ابن قتيبة » وعذرنا معه المؤرخين على هذا ،

فلا نعذرهم على استماعهم للرواة ينقلون عنهم كل شيء من غير تحريٍّ ؛

همهم أن يجمعوا ، وهمهم أن يشوقوا ، وهمهم ألا يقال عنهم إنهم

جهلوا شيئا أو سكتوا عن شيء .

غير أنا نعتقد أن هذا الذي كتبه « ابن قتيبة » نقلا عن

غيره كان شيئا لا بد منه ، فلقد كان هذا غاية ما وصل إليه العلم

حينئذ ، حين لم يصل إلى ما وصل إليه اليوم .

(١) انظر كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله أفندي .

وكان من الخير للناس أن يعيشوا على شيء فيه الحق والباطل
من أن يعيشوا على لا شيء .

وإذا جاوزنا هذا القدر الغامض ، الذى كان من الصعب على
« ابن قتيبة » أن يسوق فيه غير ما ساق ، نجد « ابن قتيبة » قد عرض
لأشياء أخرى كانت كل وسائلها بين يديه ولا عذر له فيها إن قصر .
وإنا إن وقفنا مع « ابن قتيبة » فى هذا الذى أورده من
ذلك ، ومعه مراجعته ، لا نأخذ عليه إلا أنه كان مختصرا اختصارا
يكاد يكون معيبا :

(١) فنجده حين أورد بابه فى الأنساب لم يورد من ذلك إلا ما يعد
رؤوسا لموضوعات .

(٢) ونجده لم يذكر تحت رؤوس الموضوعات هذه إلا القليل المشهور .

وكان هذا نهجه بعد ذلك فيما أورد من أبواب أخرى ، يلجأ
إلى هذا الاختصار الشديد الذى لا يفيد كثيرا .

ولعل « ابن قتيبة » قصد إلى هذا قصدا ، وألزم نفسه بأن يضع
معجرا — إن صح هذا التعبير — فى « المعارف » . فهو يقول فى مقدمته :

« وقل مجلس عقد على حبرة ، أو أسس نرسد ، أو سلك فى سبيل
المروءة ، إلا وقد يجرى فيه سبب من أسباب المعارف . . : إما ذكر
نبى أو ذكر ملك أو عالم أو نسب أو سلف أو زمان أو يوم من أيام
العرب ، فيحتاج من حضر إلى أن يعرف عين القصد » .

وهكذا يكشف عما قصد إليه « ابن قتيبة » ، فلقد قصد إلى أن يسوق رؤوس الموضوعات ولا يعنيه التفصيل .
ولئن صح هذا فلا تثريب على « ابن قتيبة » في اختصاره ، ولا تثريب عليه في أنه لم يُطل .

(٤)

لقد كان « ابن قتيبة » — شأنه شأن الرواة والمؤلفين القدامى — ينقل ما ينقل راويا عن الرواة .

وكان هذا نهجه في سائر الكتاب غير بابه الأول « مبتدأ الخلق » .

(١) فهو في هذا الباب الأول اعتمد على الإسرائيليات كثيرا، يصرح بنقله عن التوراة حيناً ولا ينقل عنها بنصها، ويصرح بنقله عن « وهب بن منبه » حيناً آخر .
(٢) وما عاصر « ابن قتيبة » « وهب بن منبه » ولا أخذ عنه . فـ « وهب » كانت وفاته سنة ١١٠ هجرية ، أى قبل ميلاد « ابن قتيبة » بنحو من قرن تقريبا .
(٣) ولقد نقل غير « ابن قتيبة » عن « وهب » كالتطري بمثل هذا السند المنقطع ، كثيرا من الأخبار التى نقلها « ابن قتيبة » من هذه الإسرائيليات ، فإلى « وهب » يُعزى الكثير منها ، كما عُزى إلى « كعب الأخبار » .

(٤) وكما لم يُعَنَّ المؤرخون القدامى بتحليل هذه الإسرائيليات ، وإنما اكتفوا بروايتها ، فحسب ، كذلك فعل « ابن قتيبة » هو الآخر ، وكان في استطاعتهم أن يمتدوا بهذه الإسرائيليات مما ينافى العقل ويأباه المنطق . ولقد كان بين يدي المؤرخين المسلمين — ومنهم « ابن قتيبة » — القرآن الكريم يريهم من كثير مما أوردوا ، لو التزموا ما أورد القرآن من سيرة الأنبياء ، ولم يكلفوا أنفسهم العناء في رواية غيره .

وإذا جاوزنا هذا الباب الأول إلى غيره من الأبواب الأخرى رأينا « ابن قتيبة » لا يذكر مرجعا، فهو لم يقل : من أين أخذ حديثه عن أنساب العرب ! لا يذكر هناك شيئا أخذ عنه ولا مرجعا رجع إليه .

حتى إذا ما جاوز ذلك إلى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم استقامت لنا خطة « ابن قتيبة » .

(١) فهو يصرح باسم « ابن إسحاق » أول من ألف في السيرة ، المتوفى سنة ١٥٢ هـ .

(٢) كما يصرح باسم « الواقدي » صاحب المغازي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

وبذلك نستطيع أن نجزم بأن « ابن قتيبة » اعتمد في هذا الباب على كتّابين ، الأول لابن إسحاق في السيرة ، والثاني للواقدي في المغازي .

وإذا ما جاوزنا ما نقله عن التوراة وما نقله عن ابن إسحاق والواقدي رأينا « ابن قتيبة » :

(١) يقف أحيانا موقف الراوى بالسند متصلا ، وهو الراوى الأخير فيه .

(٢) وأحيانا يسوق السند متصلا دون أن يكون هو موصولا به .

وهو على تلك الحال الثانية يفيدنا أحد شيئين :

(١) إما أنه عثر على هذا الخبر بسنده في مرجع ما فنقل الخبر بسنده ولم يشر إلى المرجع .

(٢) وإما أن هذه الأخبار — وهي في عهدها الأول عهد الرواية — كانت ملكا لأن يستغلها كل مؤرخ ، فاستغلها « ابن قتيبة » ، وهو واحد من هؤلاء المؤرخين القدامى ، لا يعنيه أن يسبقه واحد بتدوينه .

وإننا إذا ذكرنا أننا بين يدي كتاب قديم، فنحن لا نطمع في أكثر مما فعله
« ابن قتيبة » .

(٥)

وقد جهدت أن أجمع لهذا الكتاب أصوله الخطية ما وسعني الجهد، لا أستثنى
تلك المخطوطات التي اعتمد عليها « وستنفلد » ، فإذا بين يدي منها سبع مخطوطات .
وقد عرفت بها .

ثم لم ألبث بعد أن فرغت من الكتاب أن وقع لي منها ثلاث، وهي :

(١) نسخة رضا رامبور ، برقم ٣٥٢٨ (الهند) .

وهي ١٨٢ ورقة ٢٥ سطرا ١٧,٥ × ٢٦ سم .

وتاريخ نسخها سنة ٥٥٠٠ هـ .

والأوراق الأخيرة بخط نسخ قريب من التجويد . والنسخة كاملة النقط ،
بها ضبط قليل يكاد يكون كله على ما غمض من الحروف .

وبها طمس كثير ذهب ببعض الأسطر وطنى على جزء من الصفحات ، كما طنى
على معظم صفحات أخرى .
وهي ناقصة من أولها .

وسائر النسخة بخط بين المشرق والمغربى غير مجود مع عناوين بالخط الكوفى
القريب إلى التجويد .

وهي قريبة الشبه بالمخطوطة (ق) التي عثرنا عليها في دار الكتب المصرية .

(٢) نسخة الأحمدية — جامع الزيتونة برقم ٥٠١٧ (تونس) .

وهى فى ١٣٥ ورقة ١٧ × ٢٣ سم . ٢٤ سطرا .

وتاريخ نسخها سنة ٦٠٠ هـ .

والنسخة بخط أقرب إلى الكوفى ، وإن لم يجر على قواعد كلها ، مشكولة شكلا يكاد يكون تاما .

وعلى هامشها بعض تعليقات تشير إلى مراجعتها على نسخة أخرى . ويضطرب العنوان فى صفحتها الأولى فيكتب مرة باسم « عوارف المعارف » ثم يضرب عليه ويكتب بدله بخط آخر « كتاب المعارف » .

وهذا العنوان الجديد يبدو أنه هو خط مراجع النسخة ومعارضها .

وتكاد تتفق هذه النسخة مع نسخة (ل) التى عثرنا عليها فى المتحف البريطانى ، فهما تحلان عنوانا واحدا ، وتكاد تكون الأخطاء هى الأخطاء .

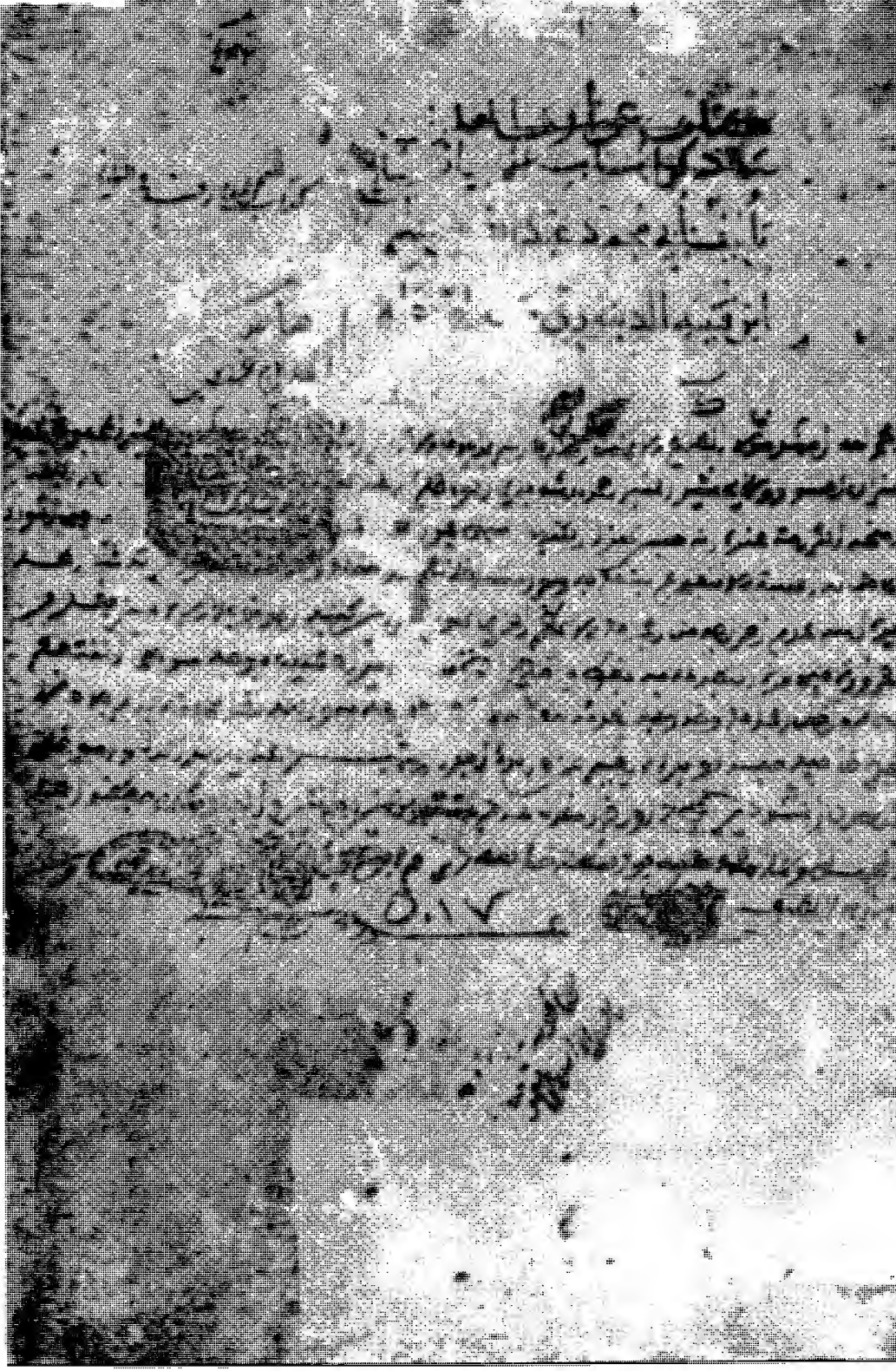
(٣) نسخة مكتبة الفاتح بإستانبول رقم ٤٤٤ .

وهى فى ١١٧ ورقة ١٣ × ١٨ سم . ٢٠ سطرا .

وهى مكتوبة بخط نسخ قديم ، ناقصة من أولها . وأول ما فيها الكلام على معاوية بن يزيد بن معاوية .

ويبدو أن هذا المخطوط يرجع أصله إلى مصدر آخر ، إذ لا تشابه بين نهجه وبين نهج المخطوطات التى بين أيدينا .

وبهذا المخطوط كثير من الأخطاء التى نزن أن المرجع فيها إلى الناسخ .



الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس

وجمعوا من شروان الفنا وفتح النار وأنها
 وتسمى بايلا يقول هذا طسكة وقال دغوم ما بال الأنا
 ولم يبق منها **المعبر** من شجرة كذا الماعد
 وهو من بقة وعند غرة من شجرة المتيقن كان غرة قال
 علي هذا رسول الله دعي فوجد إلى الأسلام قتل وقال
 صلى الله عليه فوشيد من اليا منير وقار المعبر شيئا
 فوما من الشمر ليز إلى بيض فقلعه غيلة وأخذ ما يحكم وأما
 التي عليه السلام وشهد بعد الرضوان وشهد اليمامة وشهد
 الشام والريث والقامية ولا غير البصرة واقترع بستان
 وأبو الحسن البصري وأبو محمد بن سيرين بن ميثان
 وأصبح دسهيان وأرقاد وشوق الأمازيق وهذا من شدة
 بقرها وكان على ميسرة الدهر يفتقر وهو أول من وضع
 ديوان البصرة ويقال أنه اجتنب ما بين أراءه وقال له
 أنه أعوز فسمع فقالت هو والله عساه يمانه في شدة
 وكان الأربعة الأربعة البصرة سنة خمس وقال أبو جابر

أهلاً بكم في هذا القسم، الجاهل بالعلوم والعلوم في هذا القسم



وأراني ؛ وإن فاتني الرجوع إلى هذه الأصول الثلاثة أولاً ، قد رجعت إليها
آخراً ، ولم أسف على هذا الذي فاتني كثيراً لأنني لم أجد خلافاً يغير شيئاً ، وإن كنت
قد أسفت حين فاتني أن أضم إلى وجوه الخلاف التي بالهامش نسخاً أخرى تحمله .
ولكنني قد حرصت أن أعرف بتلك النسخ الثلاث ، وأن أكبر منها بعض
اللوحات لأضمها هنا إلى المقدمة قبل إصدار الكتاب .

(٦)

وبعد . فهذا هو ذا أثر من آثار « ابن قتيبة » الأديب العالم المؤرخ .
(١) أما عن أدبه فحسبنا جميعاً كتابه « أدب الكاتب » وخطبته الطويلة التي
صدر بها الكتاب . وحسبنا تلك الشهادة التي شهد بها عالم جليل ، هو ابن خلدون
حيث يقول :

« وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن — يعني الأدب —
وأركانه أربعة دواوين ، وهي :

- (١) أدب الكاتب لابن قتيبة .
 - (٢) الكامل للبرد (٢٨٥ هـ) .
 - (٣) البيان والتبيين للجاحظ (٢٤٥ هـ) .
 - (٤) النوادر لأبي علي القالي (٣٥٦ هـ) .
- وحسبنا ما جمعه « ابن قتيبة » من كتب في الأدب مثل « عيون الأخبار »
و « الشعر والشعراء » . وأختار المرء قطعة من عقله وذوقه ، كما يقولون .

- (ب) وأما عن علمه فحسبه كتبه في الحديث والقرآن وغيرها من كتب في الأشربة والميسر والقداح .
- (ج) وأما عنه مؤرخا ، فحسبه هذا الكتاب « المعارف » .